

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

الطبعة الأولى

المحرم ١٤٢٨هـ - فبراير ٢٠٠٧م

عنوان الكتاب	الوهابية والصوفية والمقدسات
المؤلف	لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب
رقم التليفون	٠٢/٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيداع	٢٣٠٥ / ٢٠٠٧م
الترقيم الدولى	٩٧٧-٥٢٧٣-٧٤-٩

سلسلة الفتوحات العزمية

(٢٧)

الوهابية

والصوفية والمقدسات

الجزء الأول

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية: الوهابية يكفرون شيخهم	٤
الفصل الأول: الفتوحات الوهابية	٣١
التاريخ الوهابي لقتل المسلمين	٤٠
الفصل الثاني: لماذا تكفر الوهابية الصوفية؟	٦٠
رأى أئمة المسلمين في الصوفية	٧٦
الفصل الثالث: المعنى الصحيح للعبادة	٨٧
ما هو فعل الله؟	١٠٦
الفصل الرابع: مشروعية الذكر	١٠٩
حجية الذكر في الكتاب	١١١
حجية الذكر في السنة	١١٢
أقسام الذكر	١١٥
شبهات وأباطيل حول الذكر	١١٨

الافتتاحية

الوهابية يكفرون شيخهم

الحمد لله المتجلى لخلقه بخلقه، والظاهر لقلوبهم بحجته، خلق الخلق من غير روية، واختار حبيبه ومصطفاه سيدنا ومولانا محمد ﷺ من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسُرَّة البطحاء، ومصاييح الظلمة، وينايع الحكمة.

والصلاة والسلام على الحريص الرءوف الرحيم بالمؤمنين، سيدنا ومولانا محمد عبدك ونبيك ورسولك، صلاة نتلقى بها من جنابك العلى كلمات الإقبال على حضرتك، وننال بها الفوز العظيم، والخير العميم من فيض فضلك، ونحظى بها بحسن الرضا عنك سبحانك، وجمال الرضا منك سبحانك، وندخل بها في حصون أهل معيته ﷺ، محفوظين من المعصية وأسبابها، والبدع المضلة ومقتضياتها، والحظوظ المبعدة وموجباتها، ونتجمل بها بجمال أهل المعية الموصوفين في الذكر الحكيم.

أما بعد:

اختلف المسلمون في الأسباب الحقيقية التي حملت ابن عبد الوهاب وجماعته أن يخرقوا إجماع المسلمين ويرغموهم، ويتظاهروا بمظهر أنصار الدين الموحدين المعتصمين بخالص الكتاب والسنة، المنزهين عن البدعة، وأن يرموا جميع أهل القرآن والسنة بالكفر والوثنية والبدعة.

ولما كانت هذه الطريقة (المخالفة) من أخطر الطرق على إجماع المسلمين وإخائهم.. وكان كثير من الناس يظنون أن هؤلاء الأعراب يجاهدون بما علموا بحسن نية. ولكن هذا الظن انتهى بالمظاهر الجديدة التي ظهر بها الوهابيون، من بذخ العيش، وترفه. إلى الكبرياء والرفاهة والزخرف الذي تنكره الشريعة الغراء على عباد الله المجاهدين من السلف الصالح.

ولقد وجب علينا وعلى كل مسلم أن يجاهد المقصد الحقيقي الذي يرمى إليه جماعة الوهابيين. ويقف لهم كل مرصد حتى لا ينالوا تلك الغاية التي لو تحققت - والعياذ بالله - لفرقت المسلمين. وأوقعت بين صفوفهم الاضطرابات، وأثارت الفتن والحروب الشعواء.

ولأجل أن يكون المسلمون على بصيرة من صحة ما نقول التزمنا أن نأتي بموجز من تاريخ ابن عبد الوهاب وجماعته. ثم نقارن بين ما زعموا أنهم ناهضون لأجله. وبين ما هم عليه الآن. وأن أقوالهم المزخرفة تخالف عقائدهم ومقاصدهم الحقيقية.

نشأت الطريقة الوهابية في سنة ١١٤٣هـ دبرها شخص يدعى محمد بن عبد الوهاب. وهو يهودى النسب ينسب نفسه إلى قبيلة تميم بأرض نجد^(١)، ولد في سنة ١١٠٨هـ الموافقة لسنة ١٦٩٦م بقرية تدعى العيينة من إقليم العارض. ثم طلب بعض علوم الدين على أشياخ مختلفي المذاهب في مكة والمدينة. وكان شغوفاً بالجدل والمغالطة، مكثراً من مطالعة الاختلافات والاعتراضات.

ولما وجد بعض الأعراب على السذاجة هاج غرامه بحب الرياسة، فأخذ يجمع تلك الاعتراضات التي دارت رحاها بين مؤلفي المذاهب المختلفة. لمسائل الشفاعة والوسيلة والقبور، والصفات،

(١) راجع الكتاب الرابع من هذه السلسلة (شركة الإمامين لإبادة المسلمين).

والتأويل، ورؤية الله تعالى، وما إلى ذلك من الاختلافات الكثيرة التي أخذ أمثالها المبشرون من كتب المسلمين، وطعنوا بها في الدين الإسلامي، وفي المسلمين.

ولقد عرف أشياخ محمد بن عبد الوهاب غايته التي لا تتجاوز مبدأ (خالف تعرف)، وأنه يريد أن يبني مذهبه على أساس سب المسلمين، حتى الأشياخ الذين تلقى منهم العلم - تبرعوا منه براءة والده عبد الوهاب، وشيخه الشيخ سليمان الكردي، وشيخه الشيخ محمد حياه السندي الحنفي، وأخيه سليمان بن عبد الوهاب^(١)، واعتبروه باغياً على الإسلام وعليهم بغى قارون والسامري على موسى ودينه.

زين الشيطان الزعامة لابن عبد الوهاب. فرمى المسلمين كلهم بالشرك والوثنية والكفر، كما رمى المبشرون الأنبياء بذلك، لينزهوا المسيح وحده ويتخذوه إلهاً مع الله، وألف ابن عبد الوهاب رسالة عاتية سماها (كشف الشبهات عن خالق الأرض

(١) ألف أخوه سليمان كتاباً أسماه (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية).

(والسموات) فجاءت هذه الرسالة مثل (مقالة في الإسلام لجرجس سال الإنجليزي) التي حمل فيها حملته الشعواء على جميع المرسلين والأنبياء. ورماهم بالشرك وارتكاب الزنا والكذب والبهتان والزور وجميع الأوزار. وتناول القرآن والأحاديث النبوية فأولها كما يشاء، وصرفها إلى ما يشاء من غاياته الاستعمارية التي يريدون منها صرف المسلمين عن دينهم إلى اللادينية ليبتغوا غير الإسلام ديناً وحكماً.

حمل ابن عبد الوهاب جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في كفار قريش على خواص المسلمين، وأولها كما يشتهي. ولما تبعه جهلة الأعراب وأجلافهم ادعى الاجتهاد المطلق، وأوقع التنازع والشقاق بين المسلمين، وأثار الفتن والقتال والحروب، وبغى على الخلافة الإسلامية. وصار يسلط بعض الناس على بعض فيسلبون أرواح وأموال المسلمين غير مكترئين بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣). وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ

وَرَسُوْلُهُ..... ﴿ (المائدة: ٣٣). وقوله ﷺ: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول. قال: (لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه).

ولقد انضم إلى ابن عبد الوهاب في ارتكاب تلك الجرائم رجال في قلوبهم مرض. وعلى رأسهم محمد ابن سعود أمير الدرعية حينئذ- وهو يهودى النسب^(١) ينسب نفسه إلى بنى حنيفة الذين كانوا يعبدون الأصنام، وبعد ظهور النور المحمدي اتبعوا أمر مسيلمة الكذاب. وقد مرَّ بك في كتب هذه السلسلة المباركة نبؤه وأنباء أولاده وأتباعه الذين قاموا من بعده بالفسق وغايتهم المنشودة وحلقتهم المفقودة، والاعتراضات التي اتخذوها عقائد وطريقة وهاوية وراغموا بها جميع المسلمين. وكيف أنهم حينما بلغوا إلى بعض غايتهم تركوا التزهد. وابتغوا أهواءهم في الترف والرفاهة والصلف والكبرياء.

(١) راجع الكتاب الرابع من هذه السلسلة (شركة الإمامين لإبادة المسلمين).

الوهابية يكفرون شيخهم:

لن نكون مبالغين إن قلنا: إن الوهابيين الذين استقوا آراءهم الفاسدة من زعيمهم وإمامهم محمد بن عبد الوهاب هم بعيدون كل البعد عن الحق ومنهج السلف الصالح، على الرغم من ادعائهم أنهم سلفيون. وهم أيضا يخالفون دون أن يدروا بعضاً من مبادئ زعيمهم.. هذا ما سنكتشفه أيها القارئ من خلال استعراضنا لبعض ما جاء في كتاب محمد بن عبد الوهاب (أحكام تمنى الموت). وسيكتشفه أتباعه المهووسون به والهائمون بحبه.. ولكن هل تراهم سيصغون إلى الحق.. أم يراوغون كعادتهم؟.

يروى محمد بن عبد الوهاب في هذا الكتاب، الذي كُتب عليه أنه من تصحيح عبد الرحمن بن محمد السدحان، وعبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، في الصحيفة الخامسة عشرة من هذا الكتاب حديث مسلم عن أنس عن النبي ﷺ أنه وقف على قتلى بدر فقال: (يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً) فقال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح

فيها؟.

فقال: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليّ شيئاً). فهذا تصريح من زعيم الوهابية بمخالفتهم لأحاديث النبي ﷺ في إنكارهم رد روح الميت إلى جسده في قبره.

إنه لعجب عجاب أن تنتسب هذه الفرقة إلى ابن عبد الوهاب وتخالف ما ذكره في هذا الكتاب، فهذا هو يذكر أيضاً في الصحيفة التاسعة عشرة ما نصه: أخرج الطبراني في الكبير وابن منده عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات أحد من إخوانكم فسوّيتم التراب عليه، فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يستوى قاعداً، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكن لا تشعرون).

ويذكر ابن عبد الوهاب أيضاً في الصحيفة (٤٦) من الكتاب المذكور، أخرج ابن عبد البر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن - كان يعرفه في الدنيا - فيسلم عليه، إلا عرفه ورد عليه السلام) صححه عبد الحق، وفي

الباب عن أبي هريرة وعائشة.

ولأحمد والحاكم عنها قالت: كنت أدخل البيت، فأضع ثوبي، وأقول: إنما هو أبي وزوجي، فلما دفن عمر معهما ما دخلته إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر.

وأورد ابن عبد الوهاب في الصحيفة (٤٧) ما يلي نصه: وأخرج ابن سعد عن ابن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرّة، والناس يقتتلون، قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر النبوي.

وأخرج الخطيب عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خالي، فلما قُتل في المحنة وصلب أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت فبت قريباً منه، فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ: ﴿الْم * أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ (العنكبوت: ١-٢).

قال الذهبي: رويت هذه الحكاية من غير وجه.

ومعلوم أن رسول الله ﷺ بيّن لنا أن مجالسة الجليس الصالح تنال منها المنفعة والمسرة ما قسم الله لك، وأن مجالسة الجليس السوء يصيبك منها المضرة ما يصيبك، ولكن هل ينطبق ذلك على الأموات من

المؤمنين فيما بينهم؟ نجد الإجابة عن هذا السؤال واضحة جلية فيما أورده ابن عبد الوهاب فى الصحيفة (١٧) من كتابه المذكور ما يلى:

وأخرج أبو نعيم وغيره عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إدفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء) وروى معناه حديث على وابن عباس وغيرهما.

هذه حقيقة الوهابية التى لا تخفى عن كل ذى نظر وبصيرة: يخالفون ما أتى به النبى ﷺ وجمهور الأمة الإسلامية، وهم يناقضون شيخهم وزعيمهم من حيث لا يدرون.

إنهم سُمُّ فى الجسد الإسلامى، فى الوقت الذى قبض الله فيه أناساً أفذاذاً يعرفون الدواء ويعرضونه على الناس، إنه التمسك بما جاء فى التنزيل الذى أنزله الله تعالى على نبيه، وبسنة المصطفى ﷺ وخلفائه الأئمة، وبما أجمع عليه أهل الإسلام، لا باتباع الهوى والعمل بمسائل فاسدة تفوّه بها رجل غرّه المال والسلطة، واستهوته الدنيا فأعرض عن الآخرة، وانكب على تحريف الدين بما لم ينزل الله به

من سلطان.

كرامة الموتى من الصالحين:

أثبت ابن عبد الوهاب كرامة الموتى من الصالحين على الله تعالى، وأن تأثيرهم يتعدى عالم الملك إلى الملكوت إلى العرش العظيم، فقال فى الصحيفة (٢٠) ما نصه: وأخرج النسائى والبيهقى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال: (هذا الذى تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضم ضمة، ثم فرج عنه) يعنى: سعد بن معاذ، قال الحسن: تحرك له العرش فرحاً به.

وأورد أيضاً فى كتابه (أحكام تمنى الموت) فى الصحيفة (٢٤) ما يلى نصه: ولابن أبى الدنيا عن أبى غالب - صاحب أبى أمامة - أن فتى بالشام حضره الموت، فقال لعمه: أ رأيت لو أن الله تعالى دفعنى إلى والدتى ما كانت صانعة بى؟ قال: إذا والله كانت تدخلك الجنة، قال: فو الله، الله أرحم بى من والدتى، فقبض الفتى، فدخلت القبر مع عمه، فقلنا باللبن، فسويناه عليه، فسقطت منه لينة، فوثب عمه فتأخر، فقلت: ما شأنك؟ فقال: ملئ قبره نوراً، وفسح

له مدَّ بصره.

ولأبي داود وغيره عن عائشة قالت: لما مات النجاشي، كنا نحدث: أنه لا يزال يُرى على قبره نور.

وانظر أيها المنصف إلى محمد بن عبد الوهاب كيف يذكر في الصحيفة الأربعين من الأدلة ما يثبت التناقض بينه وبين أتباعه، فهناك يقول ما نصه: (أخرج مسلم عن أنس أن النبي ﷺ ليلة أسرى به مرَّ بموسى ﷺ وهو قائم يصلي في قبره).

وانظر إليه يروى عن أبي نعيم عن جبير أنه قال: (أنا، والله الذي لا إله إلا هو، أدخلت ثابِتاً البناني في لحدّه، ومعى حميد الطويل، فلما سوينا عليه اللبنة، سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلي في قبره).

وقال ابن عبد الوهاب في الصحيفة (٤٤) ما نصه: وأخرج سعيد عن عائشة بنت أهبان بن صيفي الصحابي قالت: أوصانا أنا نكفنه في قميص، قالت: فلما أصبحنا من الغد من يوم دفناه، إذا نحن بالقميص الذي دفناه فيه على المشجب، أي: ما تعلق عليه الثياب ونحوها.

ولولا أن يضيق المقام عن ذكر ما احتج به محمد

ابن عبد الوهاب في بيان أن الروح ترد إلى جسد الميت في قبره لعلنا، ولكننا نكتفي بذلك لعل مريد الحق يكتفي ويزداد يقينا بدجل هؤلاء الذين يكذبون ما ثبت عن خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام من إثبات الكرامة للأموات، فقد روى البيهقي في سننه في جزء (حياة الأنبياء) والحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن أنس رضي الله عنه عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون).

وذكر ابن عبد الوهاب إحدى كرامات الولي المعروف أويس القرني رضي الله عنه، حيث قال في الكتاب المذكور في الصحيفة (٦١-٦٢) ما يلي نصه: وفي رواية ليسا مما ينسج بنو آدم، وذهب رجلان ليحفرا له قبراً فجاءا فقالا: قد أصبنا قبراً محفوراً في صخرة، كأنما رفعت الأيدي عنه الساعة، فكفنوه ودفنوه ثم التفتوا فلم يروا شيئاً.

وأخرجه أحمد في الزهد عن عبد الله بن سلمة، وفي آخره فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فعلمنا القبر، فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر.

محمد بن عبد الوهاب وخروج الموتى:

إن هؤلاء المشبهة نفاة التوسل ينكرون خروج بعض الموتى من قبورهم؟ وقد أثبت ذلك زعيمهم ابن عبد الوهاب في كتابه هذا، إذ نقل عن ابن سيرين، وعن مسند ابن أبي سامر والترمذى وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: (إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفه، فإنهم يتزاورون في قبورهم).

وأورد ابن عبد الوهاب ما يلي في الصحيفة (٥١) من كتابه المذكور: (وأخرج البخارى فى تاريخه وغيره عن عبد الله بن عبيد الأنصارى، قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس، وكان أصيب يوم اليمامة، فلما أدخلناه قبره، سمعناه يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان لين رحيم، فنظرنا إليه فإذا هو ميت).

وأورد أيضا فى الصحيفة (٦٦) من هذا الكتاب عن أبى الشيخ عن قيس بن قبيصة مرفوعاً أنه ﷺ سئل: يا رسول الله، وهل يتكلم الموتى؟ قال: (نعم، ويتزاورون).

بل وثبت أن سيدنا أبا بكر ﷺ أجاز وصية ميت

أوصى بها بعد موته، فقد أورد ابن عبد الوهاب ما يلي نصه فى الصحيفة (٦٧-٦٨) من كتابه المذكور: (وأخرج أبو نعيم وغيره عن عطاء الخراسانى قال: حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس: أن ثابتاً قتل يوم اليمامة، وعليه درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين، فأخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم، إذ أتاه ثابت فى منامه، فقال: أوصيك بوصية فأياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، إننى لما قتلت أمس، مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى، ونزل فى أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن فى طوله، وقد أكفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالد بن الوليد، فمره فليبعث إلى درعى فأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ - يعنى أبا بكر الصديق - فقل له: إن على من الدين كذا، وفلان من رقيقى عتيق وفلان، فأتى الرجل خالداً فأخبره، فبعث إلى الدرع، فأتى بها، وحدث أبا بكر بروياه، فأجاز وصيته، قال: ولا نعلم أحداً أجزت وصيته بعد موته غير ثابت).

ماذا تقولون أيها الوهابية فى شيخكم الذى خالفكم

في هذا الكتاب في الكثير من اعتقاداتكم السخيفة؟
وقولوا لنا كيف يتزاور أهل القبور من المسلمين؟ ألا
يخرجون من قبورهم؟ وكيف التقى سيدنا ومولانا
محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بالأنبياء وصلى بهم
إماماً؟ وكيف التقى ببعضهم في السماوات السبع
ومنهم سيدنا موسى ﷺ الذي طلب منه أن يدعو
الله أن يخفف عن أمته عدد الصلوات حتى صارت
خمساً ثوابها بخمسين؟ الحق بيّن، ومن أعرض فكل
نفس بما كسبت رهينة.

ابن عبد الوهاب وقراءة القرآن على الميت:

وعلام تنسبون أنفسكم أيها الوهابية إلى ابن عبد
الوهاب وقد أنكرتم أن ينفع الأموات غيرهم؟
وزعيمكم النجدي ذكر في هذا الكتاب في الصحيفة
(٥٥) خلاف ما تدعون، أثبت نفع بعض الأموات
لبعض الأحياء، وفي الصحيفة الخامسة والسبعين من
الكتاب ما نصه: أخرج سعد الزنجاني عن أبي هريرة
مرفوعاً (أى إلى النبي): (من دخل المقابر ثم قرأ
فاتحة الكتاب و﴿قل هو الله أحد﴾ و﴿أهاكم التكاثر﴾

ثم قال: إني جعلت ثواب ما قرأت لأهل المقابر من
المؤمنين والمؤمنات، كانوا شفعاء له إلى الله تعالى).
تأمل يا طالب الحق: كيف أقر ابن عبد الوهاب
بجواز قراءة القرآن على الميت في حين أنك تجد
أتباعه يتجرأون على إنكار ذلك، دليلاً على تشنتهم
وتشردمهم، وأنهم أوزاع متفرقون يقيسون بعقولهم
ويدلون بأرائهم، ولا يحتكمون إلى الشرع، شأنهم في
ذلك شأن إبليس الذي كان أول من قاس برأيه فأودى
به ذلك القياس الفاسد إلى الاعتراض على الله، فهلك
وأهلك الكثيرين من ذوى النفوس الضعيفة المريضة،
نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة.

ثم إليك هذا الدليل الذي أورده ابن عبد الوهاب في
كتابه من أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم
وعشائريهم من الأموات، وأن الأموات يدعون لمن
تتنافى أعمالهم مع الخير من الأحياء، حيث ورد في
الصحيفة (٦٣) ما يلي: ولأحمد وغيره عن أنس
مرفوعاً: إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم
من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا، وإن كان غير
ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا.

فأتى عمر ومن معه القبر، فقال عمر: يا فلان: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (الرحمن: ٤٦)، فأجابته الفتى من داخل القبر: يا عمر قد أعطانيها ربي في الجنة. مرتين.

وهذا يثبت علم الأموات بشؤون الأحياء، وإحساسهم بهم، وتعليمهم، وكلامهم معهم.. لكن أتباع ابن عبد الوهاب قوم لا يكادون يفقهون حديثاً.

تلك هي حقيقتكم أيها الوهابية التي لا بد لكل مسلم أن يعرفها، إنها حقيقة واضحة كعين الشمس في ظهيرة يوم من أيام البادية المحرقة.. نسأل الله العلي القدير أن يعيننا على تعرية تدينكم المزيف لينكشف الضباب ويظهر الحق ويزهق الباطل.

التوسل والاستغاثة بالصالحين:

جاء في الصحيفة الستين من كتاب (أحكام تمنى الموت) عن محمد بن عبد الوهاب ما يثبت أنه يجيز التوسل والاستغاثة بالصالحين، خلاف ما يدعيه المنتسبون إليه من أن ذلك كفر وشرك والعياذ بالله، فقد جاء في الكتاب ما نصه: (ولابن أبي الدنيا عن

وللطيبالسي معناه عن حديث جابر.

فإذا كان الموتى من عموم المؤمنين والمؤمنات يشفعون لمن زارهم من الأحياء ويدعون لهم، فما بالك بالأنبياء وعلى رأسهم سيد الأنبياء ﷺ؟.

ثم ما بالك بالأولياء الذين هم أرقى وأرفع درجة من الإيمان والتقوى والقرب من القريب الحق جل شأنه؟.

فزيارتهم من سنة المصطفى ﷺ، ودعاء الله عندهم أرجى للقبول والاستجابة، لأن دعاءهم للأحياء مؤكد، وشفاعتهم للأحياء محققة، كما أورد ابن عبد الوهاب في كتابه.

بل إن شيخكم أورد في الصحيفة (٤٧) قصة لشاب كان في زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان سيدنا عمر معجباً به.. إلى أن ذكر أن الشاب مات ودفن ليلاً.. إلى أن قال ما نصه في الصحيفة (٤٨):

فلما أصبحوا رفع ذلك إلى عمر، فجاء عمر إلى أبيه، فعزاه به، وقال: ألا آذنتي؟ قال: يا أمير المؤمنين كان ليلاً، قال عمر: فاذهبوا بنا إلى قبره،

زيد بن أسلم قال: كان في بني إسرائيل رجل قد اعتزل الناس في كهف جبل، وكان أهل زمانه إذا قحطوا استغاثوا به، فدعا الله فسقاهم، فمات فأخذوا في جهازه، فبينما هم كذلك إذا هم بسرير يرفرف في عنان السماء، حتى انتهى إليه، فقام رجل فأخذه فوضعه على السرير، فارتفع السرير والناس ينظرون إليه في الهواء حتى غاب عنهم). لينظر المنصف وليقارن بين قول الوهابية وقول زعيمهم، في حين أنه لا مناص من الاعتراف بما قاله في هذا الكتاب، فهو موجود في المكتبة السعودية بالرياض تحت الرقم ٨٦ / ٧٧١، وتولى مقابلته على هذه النسخة كل من عبد الرحمن بن محمد السدحان وعبد الله بن عبد الرحمن الجبرين كما أسلفنا.

وإذا أردت الحق يا طالب الحق فانظر في الكتاب الذي ألفه أحمد بن تيمية الحراني تحت اسم (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) والذي طبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٧هـ، فهاكه في هذا الكتاب في الصحيفة ١٠١ يقول ما نصه: (يروى عن ابن أبي الدنيا في كتابه: (مجاوب الدعاء) قوله: (جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد بن أبجر فجس بطنه فقال: بك داء

لا يبرأ، قال: ما هو؟ قال: الدبيلة، قال: فتحول الرجل فقال: الله الله الله ربي لا أشرك به شيئاً، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ﷺ تسليماً، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك وربى يرحمنى مما بي، قال: فجس بطنه، فقال: قد برئت ما بك علة).

وفي الصحيفة عينها يعلق ابن تيمية على هذه الرواية بقوله: (قلت فهذا الدعاء ونحوه قد روى أنه دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء).

فهل يكفيكم هذا أيها الوهابية لبيان بأن من تسمونه شيخ الإسلام قد كفرتموه دون أن تدروا؟ هذه مع الإشارة إلى أن ابن تيمية نفسه هو أول من ابتدع تحريم التوسل إلا بالحي الحاضر، وذلك في بعض مؤلفاته.

والحق هو جواز التوسل بالأنبياء والصالحين كما قامت على ذلك الأدلة الشرعية (١).

(١) راجع الكتاب الخامس والعشرين من هذه السلسلة (موحدون لا قبوريون).

ابن عبد الوهاب والدعاء عند القبور:

ومما يقطع الشك باليقين ما جاء في الجزء الثاني من كتاب (تاريخ نجد) لمؤلفه حسين بن غنام، حيث تضمن هذا الجزء رسائل لمحمد بن عبد الوهاب، ذكر في الصحيفة ٣٢٢ منها تجويزه أن يتوسل الداعي عند القبر بالأنبياء أو المرسلين أو الصالحين فيقول ما نصه: (يقول في دعائه: أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين) فهلا ارعويتم يا نفاة التوسل عن تكفير المسلمين الذين يقصدون روضات الصالحين بقصد الدعاء إلى الله عندهم والتبرك بهم، لقد تجرأتم وتخطيتم شيخكم النجدي في تكفير المسلمين، في حين أن ابن عبد الوهاب في الصحيفة ٣٢٣ من الكتاب المذكور تطرق إلى الكلام على الصلاة عند القبر أو قصده لأجل الدعاء، معلقاً على ذلك بقوله: (فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك) أى: لا يعلمه يصل إلى الشرك. **أنصحك أيها الوهابي:** بأن تراجع نفسك وتعود لتبحث طي الكتب عن الحق، قبل أن يأتيك الموت فتندم ساعة لا ينفع الندم.

أدلة جواز التوسل:

جاء في الصحيفة ٣٨٢ من الجزء الرابع من فتاوى الإمام شمس الدين الرملي المطبوع بحاشية الفتاوى الكبرى لابن حجر الهيتمي ما نصه: (سئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين، وهل جائز أم لا؟. فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم.. هذا هو الحق المبين، ومن أعرض عنه فلن يضر الله شيئاً.

البدعة:

وأما موضوع البدعة فقد تناوله ابن عبد الوهاب في كتابه (أحكام تمنى الموت) وليعلم المنصف أن الوهابية الذين يذمون بالإطلاق كل ما أحدث بعد النبي ﷺ قد افتروا على الدين، وخالفوا زعيمهم حيث جاء في الصحيفة الثالثة والسبعين من الكتاب فيما

رواه صاحبه عن مسلم عن جرير حديث: (من سنَّ سنة حسنة..) وفي الصحيفة الخامسة والسبعين يقول: وللدارمى فى مسنده عن ابن مسعود قال: (أربع يعطاهن الرجل بعد موته: ثلث ماله إذا كان فيه قبل ذلك مطيعاً، والولد الصالح يدعو له من بعد موته، والسنة الحسنة يسنها الرجل فيعمل بها بعد موته، والمائة إذا شفعا فى الرجل شفعا فيه).

مزید من الأدلة:

فما عسى المعاند أن يقول فى هذا إلا أن يسلم، وقد ورد عن أبى داود فى سننه فى كتاب الصلاة عن عبد الله بن عمر أنه كان يزيد فى التشهد (وحده لا شريك له) ويقول: (وأنا زدتها).

وروى البيهقى فى (مناقب الشافعى) بإسناده إلى الشافعى رحمته الله أنه قال: (المحدثات من الأمور ضربان..) إلى أن قال: (والثانية ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة) وروى ذلك السيوطى أيضا فى كتابه: (الحاوى للفتاوى) فحسبنا من الحق بيانه، وأما من

ضل فلا يلومنَّ إلا نفسه، وكل نفس بما كسبت رهينة. كيف سولت لكم أنفسكم يا أتباع ابن عبد الوهاب أن تتكروا على من وقف عند قبر المسلم ليقراً سورة يس، عاملاً بقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: (إقرأوا يس على موتاكم). إن كنتم تظنون أنكم على حق فى ذلك فبم تحكمون على زعيمكم النجدى حين قال فى الصحيفة الخامسة والسبعين من كتاب (أحكام تمنى الموت) ما نصه: (وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال بسنده عن أنس مرفوعاً: من دخل المقابر فقرأ سورة يس، خفف الله عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات)!!؟.

الصلاة بالمسجد التى بها أضرحة:

أورد ابن عبد الوهاب فى كتابه (أحكام تمنى الموت) فى الصحيفة (٤٨) ما يلى:
وأخرج البيهقى وغيره عن أبى عثمان النهدى عن ابن مينا قال: دخلت الجبان، فصليت ركعتين خفيفتين، ثم اضطجعت إلى قبر، فو الله إنى لنبهان إذ سمعت قائلاً: فى القبر يقول: قم، فقد أذيتنى، أنتم تعملون ولا

تعلمون، ونحن نعلم ولا نعمل، فو الله لأن أكون
صليت مثل ركعتيك أحب إليّ من الدنيا وما فيها.
وإنا ننتساءل: ما دامت الصلاة في الجبان
مشروعة، ولا غبار عليها ولا اعتراض من ابن عبد
الوهاب الذى أورد النص السابق فى كتابه بلا أدنى
تعليق باعتراض عليه.
إذا كان الأمر كذلك، فلم يعترض معتنقو فكر
ابن عبد الوهاب على الصلاة فى المساجد التى بها
أضرحة الأولياء، بل يتهمون المصلى فى تلك
المساجد أنه مشرك، أو أنه يصلى لغير الله تعالى،
أليس الأجدر بهم أن يتعرفوا على ما أورده ابن عبد
الوهاب فى هذا الصدد من مشروعية الصلاة فى تلك
الأماكن المباركة التى سبقنا إليها أهل الإيمان
والتقوى؟.

هذا ما أورده شيخكم، فهلا بكلامه أخذتم وأرحتم
المسلمين من الجدل العقيم المفرق للأمة، واتحدثتم بها
جسماً و عقلاً، ليتفرغ الجميع لمواجهة جحافل
الصليبية والصهيونية، وغيرهم من أعداء الإسلام؟.
إنكم أيها الوهابية أمام أمرين لا ثالث لهما: إما أن

لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية

الفصل الأول

الفتوحات الوهابية

فى عصر يشهد فيه العالم الإسلامى إقبالاً متزايداً على الدين ومفاهيمه، ويقظة إسلامية واسعة فى جميع الأقطار، تصعدُ الفرقة الوهابية من جهودها الهدامة للوقوف فى وجه هذه العودة المباركة إلى الإسلام. والفرقة الوهابية التى ما هى فى الحقيقة إلا فتنة يقف وراءها الاستعمار البغيض - كما يدل على ذلك تاريخها - تستهدف:

- ١- الحط من مكانة وأهمية الشخصيات الدينية، منعاً من التقاف الناس حولها، وحول آثارها ومبادئها.
- ٢- إبراز الإسلام فى صورة الدين الجاف الجامد الذى لا يقبل التطبيق فى العصور المختلفة.
- ٣- إيجاد الفرقة والاختلاف فى صفوف المسلمين عن طريق شغلهم بقضايا فرعية للحيلولة دون وحدتهم، وتأخيرهم.
- ٤ - محو آثار الرسالة، بهدف تعريض أصالتها للإبهام والغموض الذى من شأنه أن يحول الإسلام

إلى قضية أسطورية لا جذور واضحة لها فى التاريخ كالأديان الأخرى.

منذ حوالى مائتين وخمس وثمانين سنة طفت موجة الإرهاب الوهابى على الجزيرة العربية فحملت معها الحقد، وسفك الدماء، والدمار، والتتكيل بالعرب والمسلمين، فاستبيحت المحارم، وأهينت المقدسات، وكفر المسلمون، وعُطلت شعائر الإسلام.

وارتفعت الأصوات بالاستنكار فى مختلف البقاع الإسلامية، وعقدت المؤتمرات، وقامت الاحتجاجات باستنكار هذه الحركة الرجعية الأثمة، التى تلبست بلباس الإصلاح والغيرة على الدين، فاصطبغت أيدى القائمين بها بدماء المسلمين، منذ أن تحالف أبناء مؤسس الدعوة الوهابية محمد بن عبد الوهاب مع آل سعود، فكانت غاراتهم المنتالية على نجد، والحجاز، والعراق، وبقية بقاع الجزيرة العربية، فسفكت فيها دماء الآلاف من الأبرياء من الأطفال، والنساء، والرجال، ودمرت المدن والقرى، وأعمل فيها القتل، والنهب، والسلب.

وقامت أقلام العلماء، والأدباء والشعراء بالذنب عن حياض المقدسات الدينية، وفضح أعمال الوهابية

الإرهابية الذين أعادوا إلى الذاكرة فضائع الغزو المغولى للديار الإسلامية، وما ارتكبت فيه من آثام وجرائم ضد الحضارة والإنسانية.

فاضطر الوهابيون إلى التخفيف من غلوائهم، ومحاولة استرضاء الرأي العام الإسلامى الذى ناصبهم العدا، لا سيما بعد أن صدرت الفتاوى بعدم جواز أداء فريضة الحج، لعدم أمان المسلمين على أرواحهم، وأمواهم، وأعراضهم، وكان موسم الحج هو المورد الوحيد لتأمين الموارد لهم بعد أن خرجوا من ديارهم حفاة عراة جائعين، وبعد أن كان تاريخهم الدامى - الذى يفاخرون به - سلسلة من أعمال السلب والنهب والقتل.. كما سنكشف ذلك بعد قليل.

لقد هادن الوهابيون الرأي العام العربى والإسلامى فترة، وتظاهروا بالتوبة، ثم عمدوا إلى شراء أقلام الكتاب، والصحافيين المأجورة يسترون بها عوراتهم وجرائمهم، بأموال المسلمين، وذلك حرصاً على استنباب الأمر لهم.

ولما ظهر البترول فى البلاد العربية التى اغتصبوها من أصحابها، وأعطوا امتيازاتها للشركات الغربية الاحتكارية بأبخس الأثمان، وأبطرتهم النعمة،

عادوا سيرتهم الأولى، وانطلقوا يحملون معهم خيرات البلاد لينفقونها بالملايين على الفسق والفجور وشرب الخمر، وانتهاك الأعراض، حتى انتشرت فضائهم فى الشرق والغرب، وتحدثت عنها صحف العالم، بينما ضنوا بالنزر اليسير منها على الشعوب والقبائل التى ابتليت بحكمهم فتضورت جوعاً، ولم يجرموا هذه الشعوب والقبائل من خيرات البترول فحسب، بل حرموها من أبسط ما يتمتع به الإنسان من كرامة، بل حرموها من أبسط الحريات فلا حرية للمعتقد، ولا حرية للعبادة، ولا حرية للقول، ولا حرية للكلام، فالكتب والصحف محظورة إلا ما مجد الوهابيين وآل سعود، وأباح جورهم، وأشاد بطغيانهم، بينما تحرق كتب الدين الصحيح، ولا يسمح لغير علماء الوهابية بالحديث فى الحرمين الشريفين.. بل يقومون بتمزيق أسفار الدين القويم.. وكشاهد على ذلك نروى ما فعله قاضيهم فى محكمة الظهران، سليمان بن عبيد عام ١٩٥٥م من أمره بإحراق كتاب فقهى اسمه (دعائم الإسلام)، كما فعلوا بكتاب (أبو الشهداء) للأستاذ عباس محمود العقاد الذى لم يكتفوا بمنعه بل صادروه وأحرقوه، وكما فعلوا بكتاب (دلائل الخيرات)

كان المخلصون في كل مكان يحارون في الإجابة على هذه الأسئلة، وكانوا يندهشون لهذا التصرف الوهابي اللئيم، ولا يجدون له تفسيراً إلا أن طبيعة من الشر قد سيطرت على هذه السلالة فجعلتها سفاكة للدماء، خائنة للمسلمين من عرب وغيرهم!.

ولكن لماذا كانت طبيعة الشر هذه لا توجه الوهابيين إلا لقتل المسلمين؟ لماذا لا توجههم إلى المستعمرين، إلى اليهود، إلى وجهة غير وجهة أذى الإسلام والعروبة؟

وها نحن اليوم نكشف حقيقة الوهابيين، ونفسر ما أعىى تفسيره الأذهان.. إن الوهابيين تستروا بالعروبة وبالإسلام تغطية لجرائمهم، وستراً لمؤامراتهم، وتمويهاً لخياناتهم.

ونذكر ما أوردته مجلة (المرشد) البغدادية فى عددها (الثامن) المجلد (الثانى) الصادر فى ربيع الأول عام ١٣٤٦هـ - سبتمبر ١٩٢٧م، وهذا نصه:

قبيلة من اليهود فى بلاد العرب

ورد فى برقية للصحافة المتحدة الأمريكية:

أن وجود قبيلة عربية يهودية فى قلب صحراء

للجزولى، والذي لا يحتوى إلا على صيغ للصلاة على رسول الله ﷺ، وكذلك فعلوا بكثير من الكتب والأسفار.

أيها القارئ الكريم:

وقبل أن نبدأ فى عرض سجل الفتوحات الوهابية فى بلاد المسلمين، نود أن نسأل عدة أسئلة:

- لماذا يكفر الوهابيون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأعراضهم وأموالهم؟

- لماذا لا يحارب الوهابيون إلا المسلمين من العرب وغيرهم، ولم يخربوا إلا ديارهم، ولم ينتهكوا إلا حرمتهم؟.

- لماذا وقف الوهابيون هذا الموقف المخزى من كارثة فلسطين فكانوا حرباً على أهلها؟ ولماذا أبى ملكهم عبد العزيز بن سعود أن يهدد بقطع النفط يوم كان التهديد حاسماً فى منع تقسيم فلسطين؟ ولماذا رفض أن يساهم بدينار واحد فى إنقاذ الأرض المقدسة؟ ولماذا رفض أن يبعث جيشاً مع جيوش العرب الداخلة إلى فلسطين؟.

- لماذا كان هذا الجند الوهابى جاهزاً أبداً للهجوم على أى بلد عربى يقف موقفاً حازماً مع الاستعمار؟.

بلاد العرب، قد روى في حديث لنسيم تاجر سكرتير
وكيل السلطان ابن سعود في دمشق، وابن رئيس
حاخامي دمشق مع مراسل للصحافة المتحدة.

ويقول هذا السكرتير:

(إن هذه القبيلة اليهودية العربية تدعى قبيلة خبير،
وأنها تحفظ السبت، وتصوم عيد الفصح الكبير،
وعندها نسخة قديمة من أسفار موسى، وهي تعد نحو
ثلاثين ألف مقاتل تحت سيطرة ابن السعود الذى اتخذ
عدداً منهم أعواناً له، وأن وزير ماليته واحد منهم
اسمه مردخاي).

وقد ورد فى كتاب (تاريخ آل سعود) ص ٤٥٤
الطبعة الثالثة للأستاذ ناصر السعيد قوله: [وفى
الستينيات سلطت الأضواء من إذاعة صوت العرب،
وإذاعة الثورة اليمنية فى صنعاء على: (يهودية آل
سعود) فحاول الملك فيصل إثباتها بنوع من التحدى
والتفاخر، لكنه حافظ على خط الرجوع إلى إسلامه
حينما قال:

إن قرابة آل سعود لليهود هى قرابة سامية! وذلك
من خلال تصريحاته لصحيفة واشنطن بوست فى ١٧
سبتمبر ١٩٦٩م، والتصريحات التى تناقلتها عدد من

الصحف العربية ومنها (الحياة) البيروتية بقوله:
(إننا واليهود أبناء عم خلص، ولن نرضى بقذفهم
فى البحر كما يقول البعض - يقصد الرئيس جمال
عبد الناصر - بل نريد التعايش معهم بسلام!)
واستدرك يقول: (إننا واليهود ننتمى إلى سام،
وتجمعنا السامية كما تعلمون، إضافة إلى روابط
قرابة الوطن، فبلادنا منبع اليهود الأول الذى منه
انتشر اليهود إلى كافة أصقاع العالم).

هكذا قال الملك فيصل بن عبد العزيز، وقد نشر
هذا الاعتراف فى الصحف المذكورة ومثيلاتها.. لكن
أحداً لم يعره كبير اهتمام، لأنه نشر فى فترة تهادنت
فيها الأنظمة العربية، وتعاونت أجهزة إعلامها فى
عناق ووافق!].

ونعود إلى الوهابية وهى تفتح البلاد الإسلامية
واحدة تلو الأخرى، فتقتل وتسلب وتهتك الأعراض
بلا وازع من رحمة أو دين.. لماذا؟

لأن ابن عبد الوهاب واضع أساس المذهب
الوهابى جعل شارة مذهبه (الفوز أو الموت) فجمع
تحت هذا العنوان القصير الوسائل التى تبيح له
التعدى بالقتل على كل مسلم لا يرتضى الوهابية

جرد مما يملكه، ولا يعترف به أحد منا، وسنصل إليكم إن شاء الله في هلال الشهر المقبل.. وهذه آخر مرة ندعوكم فيها إلى الدين الصحيح، فتكون بلادنا وبلادكم سواء.. والسلام على من اتبع الهدى].

يقول صاحب كتاب (مصر فى القرن التاسع عشر) الفصل الثامن: (فإذا بقى البلاغ الأول والذى يليه بلا إجابة بعث الوهابيون بلاغاً ثالثاً كهذا، جعلوه عنواناً على فتح باب الخصومة التى لا واقى من شرها، إذا كبير الوهابيين أخبر جنده وقتنذ بأنه لم يبق مجال للتسامح، وأطلق لهم حرية النهب والقتل).

والسؤال: ما هو التاريخ الوهابى فى قتل المسلمين؟!

لنبدأ بما فعلوه فى المدينة المنورة:

اقتداء ببيزيد بن معاوية صاحب وقعة الحرة التى استباح المدينة المنورة ثلاثة أيام يقتل وينهب، فقد قام الوهابية بغزوها، وسنقل هنا بالنص من كتابهم التاريخى الذى يحتقى به فى كل محفل (عنوان المجد

مذهباً له، فكانوا لا يتسامحون مع أصدادهم فى المذاهب، وإذا عارضهم أحد أو وقف فى سبيل نشر دعوتهم أو أنكر خطتهم فى غاراتهم ذبح بلا رحمة.. ولولا تحكيمهم البتار فى الرقاب لما استطاعوا نشر عقيدتهم، أو ألقوا الفزع فى القلوب تمهيداً لقبولها، وهاك مثلاً من الدعوة التى كانوا يدعون بها جيرانهم إلى مذهبهم:

[بسم الله الرحمن الرحيم.. من خير القبائل إلى فلان أو فلان من أعيان البلد الفلاتى:

إن الإسلام هو الإيمان حقاً بالله وبرسالة نبيه، وبه يتميز المسلم الصادق من الكافر، والذين يتولون الحكم عليكم، وتأترون بأوامرهم قد ملأ الفساد والظلم وارتكاب المنكر قلوبهم، أما نحن فعلى غير ذلك، نصح إليكم بالعودة إلى الإيمان والإسلام، وقد جننا إليكم بجيوش من المؤمنين، فمن منكم أراد الإسلام فليكتب لنا بما أراد، فإننا نترك له أملاكه، ونقيمه فيما تحتويه من عرض الدنيا. واعلموا أننا وصلنا بسلامة الله، وسنجىء إليكم بحشد حشيد من الجنود للجهاد على بركة الله وحسن معونته، وهذا بلاغ إليكم فمن منكم تخلف عن الكتابة إلينا بموافقتنا

في تاريخ نجد) لمؤرخ الوهابية عثمان بن بشر النجدي حيث يقول: (.أجمعوا على حرب المدينة ونزلوا عواليها، ثم أمر عبد العزيز ببناء قصر فيها فبنوه وأحكموه، واستوطنوه، وتبعهم أهل قباء ومن حولهم وضيّقوا على أهل المدينة، وقطعوا عليهم السوابل، وأقاموا على ذلك سنين.. ولما طال الحصار على أهل المدينة وقعت المكاتبات بينهم وبين سعود من حسن قلعي وأحمد الطيار والأعيان والقضاة، وبايعوا في هذه السنة).

وهكذا سقطت المدينة المنورة مستسلمة بعد أن مات أهلها جوعاً، ويا لها من دناءة في محاربة بلاد حرّمها رسول الله ﷺ، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بسرقة محتويات الروضة النبوية الشريفة والتي لا تقدر بثمن، فجميع الهدايا الواردة والشمعدانات المصنوعة من الذهب الخالص، سرقها الوهابية وحولوها إلى سبائك، وكذا صفائح الذهب الذي كفتت به الجدران والأخشاب، وخمسائة لوح من النحاس مصفحة بالذهب، وعشرين سيفاً مرصعاً بالجواهر، ومقدار جسيم من السجاجيد الطهرانية والأصبهانية والأرضرومية، واللؤلؤة الكبيرة بحجم بيضة الحمام

المعلقة فوق الضريح الشريف، والمعروفة باسم الكوكب الدرّي، كل ذلك سلبوه بلا خوف وباعوه علناً، فاشترى الشريف غالب منها ما لا تقل قيمته عن مائة ألف قرش، وحمل المفسدون ما لم يبيع فاقتسموه بينهم بالقرب من كربلاء بعد أن حسبوا حسابه.

وواصلت الوهابية محو التراث الإسلامي بالمدينة المنورة، فدمروا الآلاف من روضات الصحابة وغيرهم من آل البيت والتابعين والشهداء في البقيع، وإزالوا القباب التي كانت عليها، وهدموا مسجد ثنيت الوداع، ومسجد الغرس، ومسجد الفضيخ، ومسجد الشمس، وهدموا دار سعد بن خيثمة، أول دار نزل بها رسول الله ﷺ عند هجرته للمدينة المنورة، ودموا بئر أريس، وبئر غرس التي قال عنها رسول الله ﷺ: (إنها عين من عيون الجنة)، وقاموا بإزالة جبل الرماة الذي وقف عليه الرماة في غزوة أحد، وسدوا الغار الذي استتر به النبي ﷺ يوم أحد، وطمسوا معالم الخندق الذي حفره ﷺ بيديه هو وأصحابه في غزوة الأحزاب.. كل ذلك في حين أنهم يحافظون على حصن كعب بن الأشرف اليهودي،

وصارت الأعراب تدخل كل يوم إلى الطائف،
وتنقل المنهوبات إلى الخارج، حتى صارت كأمثال
الجبال، فأعطوا خمسها للأمير، واقتسموا الباقي.
ورموا المصاحف وكتب الحديث والفقه والنحو في
الأزقة، وعمدوا أخيراً إلى حفر بيوت المدينة حتى
المراحيض بحثاً عن المال الذي قيل لهم إنه خبيء في
الأرض.

وقد قتل خلال هذه المجزرة الشيخ عبد الله
الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة، والشيخ عبد
الله أبو الخير قاضي مكة، والشيخ جعفر الشيبلي
 وغيرهم، ذبحوهم بعد أن أمنوهم عند أبواب بيوتهم..
ولم يكتفوا بقتل الأحياء من العلماء، بل توجهوا إلى
روضة حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما فهدموها وأخفوا معالمها.

فكيف يمكن للمسلم أن ينسى دماء الموحدين هذه
وأموالهم؟. والله إن ما فعله اليهود بأيديهم ليس بأقل
فضاعة مما فعله الوهابيون بأهل لا إله إلا الله سيدنا
محمد رسول الله ﷺ وأله.

وبعد الطائف توجهوا إلى مكة المكرمة، بعد
إرعاب أهل الحجاز بقتل النساء والأطفال والرجال

وآثار خبير اليهودية تقف اليوم شاهدة على تسامح
الوهابية.. فلماذا؟!..

أما عن فضائع الوهابية في الطائف ومكة:

ففي ذى القعدة ١٢١٧هـ دخلوا الطائف عنوة..
فماذا فعلوا بها وبأهلها؟

يقول السيد محمد الأمين في كتابه (كشف الارتياح
في أتباع محمد بن عبد الوهاب):

(لما دخلوا الطائف عنوة قتلوا الناس قتلاً عاماً
حتى الأطفال، وكانوا يذبحون الطفل الرضيع على
صدر أمه، ولاحقوا الفارين من المدينة فقتلوا أكثرهم،
وفتسوا على من توارى في البيوت وقتلوه، وقتلوا من
في المساجد وهم في الصلاة، وأعطوا الأمان للبعض،
فلما استسلموا ضربوا أعناق فريق منهم، وأخرجوا
فريقاً إلى وادي (وج)، فتركوهم مكشوفى السواتين
ومعهم النساء، حتى رموا عليهم أطماراً بالية، ثم
عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوماً على التوهد، فصاروا
يتكفون الناس فيعطى السائل الحفنة من الذرة
يقضمها.

خلال احتلالهم للطائف، فماذا فعلوا بالبئد الحرام؟
سنسمع ما فعلوه بلسان مؤرخ الوهابية عثمان بن بشر، فيذكر ذلك في أحداث سنة ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م حيث كانت أحداث تلك الفترة المشؤومة في محرم ١٢٢٠هـ - لاحظ أنه شهر حرام - أن الوهابية راحوا يقتلون الحاج، ويأسرون من يمر بهم، واشتد الغلاء في مكة بشكل فاحش لم تشهده من قبل، حتى باع أهل مكة أثنائهم وحلى نسائهم بعشر القيمة، ليشتروا أقوات أطفالهم بأضعاف أثمانها، ومات الكثير من أهل مكة جوعاً، وانتشرت جنث الأطفال في الأزقة، بل وكما يذكر مؤرخ الوهابية: (إن لحوم الحمير والجيف بيعت فيها بأعلى الأثمان، وأكلت الكلاب، وأخذ الناس يهجرونها نتيجة الخطر الجاثم على أطرافها، فلم يبق في مكة إلا النادر من الناس).
فمن الذي أباح الحرم الأمن الذي لم يحله الله إلا لرسوله ﷺ ساعة من نهار، وقد خطب الرسول الأكرم ﷺ قائلاً: (إن الله عز وجل سن عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدى، ألا وإنها أحلت لي ساعة من النهار، ألا وإنها ساعتى هذه حرام، لا يخبط

شوكها، ولا يعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد^(١)، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يعطى، يعنى: الدية، وإما أن يقاد أهل القتل).
نقول: من الذى أباح حرمة مكة المكرمة لهؤلاء الأوباش المتعطشين للدماء الذين لا يراعون ذمة ولا حرمة، حتى انتشرت جنث أطفال المسلمين فى الطرقات، وأكل أهل البيت العتيق لحوم الجيف والحمير والكلاب.. كما يروى الوهابية أنفسهم مفتخرين.. لا عافاهم الله؟.

ومن شنيع أفعال الوهابية فى غاراتهم على مكة أن توجه اثنان من قادتهم وهما:

عثمان المضايقى وابن شكبان إلى عرفة، فقتلا من لم يطعهما، وأسرا الكثير من الناس، ثم انتقلا إلى وادى (مر) ينهبون ويقتلون الواردين إلى مكة، مما أدى إلى امتناع أهل الحجاز عن الحج، وأحرق المحمل المصرى رمز اجتماع الحجيج، وانقطع الحج من العراق ابتداء من ١٢٢٠هـ لمدة أربع سنين، وانقطع من الشام ثلاث سنين، ومن مصر سنتين..

(١) للتعريف لا التمليك.

ولا حرج في منع هؤلاء من الحج لأنهم في نظر الوهابية من المشركين.

وبادر الوهابيون بالمساحي فهدموا أولاً ما في مقبرة المعلى من القباب وهي كثيرة، ثم هدموا قبعة مولد النبي ﷺ، ومولد سيدنا أبي بكر وسيدنا علي وقبة السيدة خديجة، وفي تاريخ الجبرتي: أنهم هدموا أيضاً قبعة زمزم، والقباب التي حول الكعبة، والأبنية التي هي أعلى من الكعبة، وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين فهدموها، ونادوا بإبطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام، ومنعوا الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان، تأسيساً بآبن عبد الوهاب إمام الوهابية القائل: (إن صوت الربابة في بيت الغانية أفضل من الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان).. هل سمعتم عن لوثة غل وحقد على نبي الإسلام أكثر من هذا؟ أليس هو القائل: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على) والحديث في صحيح مسلم؟.

وفي ظل الدولة السعودية الثالثة تم احتلال مكة فعليا، بينما الملك علي بن الملك حسين في جدة يحاصره الوهابيون من جهة البر، بينما يضيق عليه

الإنجليز من جهة البحر، إلى أن قبل بالصلح، والاستسلام للإنجليز عام ١٩٢٤م، فانتقل إلى العراق. وقد خطبهم خطبة فتح مكة الشيخ فيلبي!! الذي يسميه الوهابية الشيخ عبد الله فيلبي، وقد أذن وصلى بالناس في الحرم إماماً، وعندما احتج بعض شيوخ البادية على ذلك، قال ابن سعود قائد الوهابية: (يا إخوان المسلمين.. لولا هذا الرجل الذي اسمه الشيخ عبد الله فيلبي ما دخلتم مكة المكرمة.. وهذا هو مندوب الإنجليز، هل تريدون أن أغضبه وأرضيكم). وإيماناً من أتباع ابن عبد الوهاب بعدم جدوى هدم الكعبة المشرفة والمسجد الحرام، فقد اتجهوا لأسلوب أمثل وهو تشويه التاريخ عبر الجغرافيا، فاتجهت أنظارهم لتشويه أهم مركز إسلامي لحفظ الوثائق، ومكتبة من أنفس مكتبات الأرض قاطبة، وهي المكتبة العربية في مكة المكرمة فتم إحراقها!.

أتدرون ما الذي كانت تحتويه هذه المكتبة؟

لقد كانت هذه المنارة أكثر وأكبر من مكتبة بالمعنى الحرفي، إذ كانت تحتوي ستين ألفاً من الكتب

النادرة، وحوالى أربعين ألف مخطوط، بعضها مما أملاه النبي ﷺ، وبعضها كتبه الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة، ومنها ما هو مكتوب على جلود الغزلان والعظام والألواح الخشبية.. كما كانت المكتبة تشكل فى جانب منها متحفاً يحتوى على مجموعة من آثار ما قبل الإسلام وبعده.

لقد ذهب كل هذا أدراج الرياح.. فبالله عليك أيها القارئ الكريم هل تعلم أحداً فعل مثل هذا عبر التاريخ الإسلامى؟

بذهاب هذه المكتبة.. ذهبت كثير من المخطوطات التى لم ير المسلمون مكاناً آمناً لحفظها من مكة، فنقلوها إليها من كل حدب وصقع، فما كان من الجيش الذى لا يجيد القراءة إلا أن ألقمها النار!

إن هذا التصرف يبرهن على مدى عداة هؤلاء للإسلام، ومحاولتهم اليائسة لطمس معالمه، وهو تصرف ما يزال الوهابية يمارسونه بأشكال مختلفة، فهم يحرقون كتب المسلمين التى ترد إلى بلادهم، ولا تناسب أهواءهم، ومن أراد أن يرى طرفاً من ذلك، فعليه بملاحظة فرقهم المتخصصة فى مصادرة كتب المسلمين فى المطارات أثناء قدومهم لأداء فريضة

الحج، ومن ذلك تزويرهم لكتب المسلمين، حيث يقدمون على أمهات الكتب الإسلامية فيعيدون طباعتها، فيحذفون منها ويزيدون، وقد فضحهم علماء الأمة فبينوا سرقاتهم وتحريفهم، ومن أراد الاطلاع على شىء من ذلك فعليه بمطالعة مؤلفات العلامة حسن بن على السقاف.

لم تتوقف مجازر الوهابية على الحرمين فقط بل تعدت إلى مناطق كثيرة من الجزيرة، نذكر منها على سبيل المثال:

الكويت: حيث وجهوا إليها الغارات تنهب وتسلب الأموال وتسبى النساء المسلمات الحرائر، كانت الحملة الأولى سنة ١٢٠٥هـ — ١٧٩٠م، ثم تلتها أخرى سنة ١٢١٣هـ، وثالثة ١٢٢٣هـ، وقد أعطى الإنجليز أثناء صراعهم مع الأتراك، الضوء الأخضر للوهابية لمهاجمة الأراضى الكويتية سنة ١٣٣٧هـ — ١٩١٩م، فوقعت معركة الحمض، وأعادوا الكرة السنة التالية.

بلاد الشام: لقد فعل الوهابية العجب ببلاد الشام، فما أن وطئت أقدامهم تلك الأراضى الخصبة حتى عاثوا فيها فساداً من سرقة ونهب وقتل وحرق

وإرعاب للمؤمنين، كما يتحدث بذلك مؤرخهم الثقة عثمان بن بشر النجدي، ومن ذلك ما أرخ له سنة ١٢٢٥هـ مما فعلوه عند جبل (طويل الثلج) قرب نابلس، ثم يقول من بعد: (واجتاز - يعنى الجيش الوهابى - بالقرى التى حول المزيريب وبُصرى فنهبت الجموع ما وجدوا فيها من المتاع والطعام وأشعلوا فيها النيران، وكان أهلها قد هربوا عنها لما سمعوا بمسيره) ويقول: (وقتلوا من أهل الشام عدة قتلى، وحصل فى الشام رجفة عظيمة ورعب عظيم بهذه الغزوة فى دمشق وغيرها من بلدانه وجميع بواديه).

فهذا الاعتراف من ألسنتهم يتفخرون به - قاتلهم الله - وانظر كيف يتعاملون مع أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، فوالله لو كان أهل الشام بألسنة لما جاز لهم أن يفعلوا بهم ما فعلوا.. ولكنه الدين الوهابى الجديد!.

الأردن: فى سنة ١٩٢٥هـ كان الإنجليز هم المخططين للهجوم الوهابى على شرقى الأردن، حيث أغاروا على أم العمد وجوارها وقتلوا ٢٥٠ مسلماً، ونهبوا وأسروا.. وهكذا قتل الوهابية الكثير من

الأبرياء المسلمين من أهل الأردن، خدمة لعينى الشيخ فيلبى وقومه النصارى، وخدمة لليهود كى يحتلوا فلسطين.

العراق: لقد عاث الوهابية فى العراق فساداً، وفرضوا الجزية عليها سنيناً - لاحظ فرضوا الجزية وكأنهم على غير دين الإسلام - وأخذوا من بغداد ما لا يعد ولا يحصى، حتى وصلوا إلى مناطق الأكراد فى الشمال، وطلبوا من أهلها أموالاً كثيرة.. وذلك يهون بجوار ما فعلوه فى روضة الإمام الحسين عليه سلام الله تعالى فى كربلاء.

حيث جهز سعود بن عبد العزيز جيشاً عظيماً من أعراب نجد، وغزا به العراق، وحاصر كربلاء، ثم دخلها عنوة، وأعمل فى أهلها السيف، ولم ينج إلا من فر هارباً ولم يعثروا عليه، وهم جيران روضة ابن بنت رسول الله ﷺ السبط الشهيد، ونهبها، وهدم روضة الإمام الحسين، واقتلع الشباك الموضوع على الروضة الشريفة، ونهب جميع ما فى المشهد من ذخائر، ولم يرع لرسول الله ﷺ ولا لذريته حرمة، وأعاد بأعماله ذكرى فاجعة كربلاء، ويوم الحرة، وأعمال بنى أمية والمتوكل العباسى، ويقول أهل

العراق: إنه ربط خيله في الصحن الشريف، وطبخ القهوة ودقها في الروضة الشريفة.

هؤلاء هم أعراب نجد، يأخذون المسلمين على حين غرة، فيتسورون عليهم الجدران في شهر ذى القعدة من الأشهر الحرم، من غير جريرة، ولا سابق إنذار، وماذا فعلوا بعد؟

لندع ابن بشر يتحدث مفتخراً بمخازى الوهابية في كربلاء فيقول: (.. وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك ما يعجز عنه الحصر).

نعم، حتى المصاحف يسرقها الوهابية كي يتهدجوا بها في وقت السحر، فهذا هو الفقه الوهابي الخارجى الأعوج!!

أيها الأخوة: إن بإمكاننا الاستمرار طويلاً في سرد الأحداث الدامية التي ارتكبتها الوهابية في حق المسلمين في نجران والأحساء والبحرين وقطر، وأبو ظبي، وعمان، واليمن.. ولكن فيما ذكرناه كفاية لنثير التساؤلات التالية:

- هل هؤلاء الذين ذكرنا من أهل الجزيرة ومن

حولها كانوا خارجين من ملة الإسلام حتى يعاملوا هذه المعاملة، فتستباح دماؤهم، وتتهب أموالهم، وتسبى نساؤهم، ويؤخذ كل ما بأيديهم عنوة؟

- هل هذا هو تصرف المسلمين مع المسلمين؟

- وهل عرف ذلك عن السلف الصالح؟

- وهل كان صحابة رسول الله يصنعون بأهل

التوحيد مثل هذا الصنيع؟

- من لهم بلا إله إلا الله؟ أما يخشون أن يكون

رسول الله خصمهم يوم القيامة؟

فعندما قتل أحد أصحاب رسول الله رجلاً قال لا

إله إلا الله، وظن أنه قالها من لسانه ولم يؤمن بها

قلبه، قال له رسول الله ﷺ: (هلا شققت عن قلبه)،

وقال له من اللوم والتقريع ما قاله، فكيف بهؤلاء

الذين يتعمدون إزهاق أرواح أهل كلمة لا إله إلا الله

محمد رسول الله؟

- بالله عليكم هل هؤلاء القوم مشركون خرجوا

من ملة الإسلام؟ هل أنكروا ما علم من الدين

بالضرورة؟ هل ارتدوا عن هذا الدين الحنيف؟

لا والله.. إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك، ولكنهم

تمسكوا بدين الإسلام، ولم يقبلوا دين الوهابية الجديد!!

وحسبنا أن نسرد جملة من الأحاديث النبوية الشريفة سرداً بلا كبير شرح ولا تعليق، فهي على ما هي عليه، في غنى عن كل شرح وتعليق.

الحديث الأول: روى الشيخان البخارى ومسلم قال ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإن قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).

الحديث الثانى: روى مسلم قال ﷺ: (إذا حاصرتم أهل مدينة أو أهل حصن، فإن شهدوا أن لا إله إلا الله، فلهم ما لكم وعليهم ما عليكم).

الحديث الثالث: روى مالك والشافعى وأحمد أن رجلاً من الأنصار أتى النبى ﷺ فى مجلس، فسارّه يستأذنه فى قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ فقال: (أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ فقال الأنصارى: بلى، يا رسول الله ولا شهادة له، فقال: أليس يشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: بلى ولا شهادة له، قال: أليس يصلى؟ قال: بلى ولا صلاة له، قال: أولئك الذين نهى الله عن قتلهم).

تأمل هذا الحديث العظيم، فإن مجرد الظن بأن هذا الرجل المنافق ينطق بالشهادتين، ويصلى حرم دمه،

فكيف بالوهابية الذين يحلون دم المسلم وماله وعرضه، لأنه يزور الموتى، أو يصلى فى مسجد ألحق به ضريح رجل صالح فى بناء خاص مقصور عن المسجد؟

الحديث الرابع: روى البخارى ومسلم عن عبادة قال: قال رسول الله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل).

لاحظ معنى قوله ﷺ: على ما كان من العمل، ففيه سماحة وسعة ويسر، لا تعرفها هذه العقول.

الحديث الخامس: روى مسلم وأحمد قال رسول الله ﷺ: (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة).

اسمعوا هذا أيها الوهابية المتشددون المتفهبون الهمفريون - نسبة إلى مستر همفر رجل المخبرات البريطانية وصديق مؤسس الوهابية - فالنبى ﷺ يعنى: ولو لم ينطق بها، فالله رب قلوب لا رب ظواهر!! أفبعد هذا تحكمون على أهل الشهادتين

بالنار أبداً؟.

الحديث السادس: روى ابن ماجة والحاكم فى المستدرک عن حذيفة عن النبى ﷺ أنه قال: (يُدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا صدقة ولا نُسك، ويسرى على كتاب الله فى ليلة، فلا يبقى فى الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها، فقال صلة بن زفر لحذيفة: فما يغنى عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صيام ولا صلاة ولا صدقة ولا نُسك؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم فردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه فى الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار، يا صلة تنجيهم من النار، يا صلة تنجيهم من النار).

[تأمل هؤلاء الذين يقولون: لا إله إلا الله تقليداً دون أن يقوموا بحققها من الصلاة والصيام والنسك الظاهرة ينجيهم الله من النار بها. كما فى الحديث السابق!! فكيف بمن يؤدى حق الله، ولكنه يختلف فى بعض الفروع؟].

الحديث السابع: روى أبو داود والطبرانى عن

أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث من أصل الإيمان، الكف عن قال: لا إله إلا الله، لا تكفره بذنب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل..). إذا فأخرج المسلمين من الإسلام بشبهة ليست بالذنب الصريح، ولا بالعمل على المعتقد، كما يفعله الوهابية فليس من دين الله على الإطلاق، إنما هو التعصب والغل على أهل الإسلام باسم التوحيد والسنة].

الحديث الثامن: روى البخارى من حديث أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: (أيما رجل قال لأخيه يا كافر؛ فقد بآء بها أحدهما).

فهل يرتدع بعد كل ذلك أولئك الذين لا يتورعون، ولا يستحيون من إخراج مئات الملايين من أهل الإسلام من دينهم؛ لخلافات فرعية، أما سمعوا حديث السيدة عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ: (لا تكفروا أحداً من أهل القبلة بذنب، وإن عملوا الكبائر، وصلوا مع كل إمام، وجاهدوا مع كل أمير) رواه أبو داود الطيالسى.

وأما سمعوا حديث هشام بن عروة عن النبى ﷺ:

الفصل الثاني

لماذا تكفر الوهابية الصوفية؟

سنة الله الماضية في عباده، وخواص أوليائه، أن يبتليهم بالمعرضين، ويثيرون الظلم.. وما ذلك بضائر أهل الحق، ولا بمنقص أرباب السلوك، فقد ملأ ضمائرهم نوراً، وأشبع سرائرهم راحةً وسروراً إخبار الحق عز شأنه: ﴿وَكذلكَ جَعَلنا لِكُلِّ نبيِّ عَدُواً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكفى بِرَبِّكَ هادِياً وَنَصيراً﴾ (الفرقان: ٣١)، وطاف بخواطرهم واستقر بأفئدتهم قول الصادق المصدوق عليه السلام: (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه).

ويظل التصوف شامخاً، ويطل عبر العصور سامقاً يفوح أريجها، ويندى عبيره، ويستطيبه الأولياء والأصفياء والصالحون، وتقتبس القلوب السليمة من أنواره، ولا يضر ضوء الشمس أنه لا يعترف به الخفاش، ولا ينقص الشهد الخالص أنه مرٌّ في فم المريض، ولا يحجب الحق البين على قلوب أهله أنه

(رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه) رواه ابن أبي الدنيا.

لعل فيما ذكرنا من أحاديث، وأقمنا من حجج؛ ما يجعل هؤلاء المخدوعين بفكر الوهابية تمويلاً وتضليلاً يرجعون عما هم فيه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ثقل على الأنعام والشياطين.. اللهم إني أعوذ بك من غضبك الذى تحجب به الأنوار عن قلوب من غضبت عليهم.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

أيها القارئ الكريم:

بيننا لك فى الكتاب الرابع والعشرين من هذه السلسلة المباركة المخطط الاستعماري للقضاء على الإسلام، والذى كان من بين خطواته خلق مذهب إسلامي ودولة، فى منطقة من شرقى صحراء نجد، ذاك المذهب كان المذهب الوهابي، وتلك الدولة كانت السعودية.

وقامت أسس هذه الدولة على كراهية المسلم وتكفيره واستحلال دمه وماله وعرضه، لذلك كانت فتوحاتهم لنشر الدين الوهابي الجديد فى بلاد المسلمين.. بالمدينة المنورة، والطائف ومكة، والكويت، والعراق، والشام، واليمن، وعمان، والبحرين، وقطر.

وفى هذا الفصل سنركز على قضية هامة وهى: تكفير الوهابية للصوفية.

يقول على بن محمد بن سنان المدرس بالمسجد النبوي الشريف فى كتاب (المجموع المفيد فى عقيدة

التوحيد) ص ٥٥ ما يلى: (أيها المسلمون لا ينفع إسلامكم إلا إذا أعلنتم الحرب الشعواء على هذه الطرق الصوفية، وقضيتم عليها فأخرجتموها من بين جنوبكم وقلوبكم ومجالسكم ومجامعكم ومساجدكم وزواياكم، حاربوها قبل أن تحاربوا اليهود فإنها روح اليهود والمجوس، تغلغت فى جسم الإسلام فزلزلته وأوهنته).

ويقول كبير مرتزقتهم فى مصر محمد حامد الفقى مؤسس جماعة أنصار السنة: (هذه الطرق الصوفية ليست من الإسلام فى شىء، والإسلام لا يعرف هذا التصوف بنقائده وطقوسه وشطحاته وأسرارته وبواطنه، بل جاءه دخيلاً من متصوفة الفرس والهند وغيرهم، ممن ورثوه عن الوثنيين القدماء التى لا تزال بقاياهم فى الهند والصين ومختلف بقاع الأرض، وهى صورة طبق الأصل فى عقائدها وطقوسها مما يسمونه التصوف الإسلامى حذو النعل بالنعل، فما عرف اسم التصوف والصوفية إلا بعد القرن الأول الهجرى).

وفى ختام فتواه يطالب المسلمين جميعاً أن يعلنوا الحرب الشعواء على الصوفية بجميع ألوانها، وفى

كل طرقها، لأن إسلامهم لن ينفع إلا بذلك.

ويقول محمد المرزوقي بن عبد المؤمن في كتاب (التوحيد على طريقة السؤال والجواب) نشر رابطة العالم الإسلامي (الوهابية)، طباعة مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ص ٧٩:

س: ما حكم أهل الطرق، هل هم من أولياء الرحمن أم من أولياء الشيطان؟
ج: بل هم من أولياء الشيطان.
س: ولم قلت ذلك؟

ج: لأنهم خالفوا الله وخالفوا رسوله ﷺ الذي طاعته طاعة لله، ومخالفته مخالفة لله.

ويقول عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه (فضائح الصوفية) طبعة ١٩٨٤ - الكويت: (إعلم أولاً أن التصوف بحر من القاذورات فقد جمع المتصوفة كل أنواع الكفر والزندقة التي توجد في فلسفات الهند وإيران واليونان، وكل مكر القرامطة والفرق الباطنية، وكل خرافات المخرفين، وكل دجل المدجلين، وكل وحى الشياطين، ووضعوا كل ذلك في إطار التصوف وعلومه وكشوفه، فلا يتصور عقلك عقيدة كفرية في الأرض إلا تجدها في التصوف، بدءاً

بنسبة الألوهية إلى المخلوقات، وانتهاء بجعل كل معبود هو عين الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-).

هذا بعض ما قالوه عن الصوفية والتصوف، نقلناه حرفياً من كتبهم وفتاويهم، وقد حكم بعض الناس خطأ على الصوفية أنهم كذلك، وربما كان هذا الحكم بحسن نية لما يسمعون من لا علم لهم بحقائق الأمور، لذلك لا بد من تجلية هذا الأمر في أذهان من التبس عليهم شأن الصوفية.

والسؤال: لماذا تحارب الوهابية الصوفية؟

أولاً: الصوفية يطبقون مفهوم الوحدة الإسلامية، وتوحيد الكلمة بصورة يتميزون بها عن غيرهم من الطرق التعبدية الأخرى، بينما الوهابية يموتون إذا توحدت كلمة الأمة، لذلك فالتصوف عدوهم اللدود، والطرق الصوفية هي أبواب على طريق واحد، دائم منذ صدر الشريعة ونبع الحقيقة وهو الرسول ﷺ وآله، بواسطة الشيوخ عارفاً عن عارف، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما أن تبادل المعارف الذوقية من المرشدين إلى المريدين لا يتم إلا عن طريق الصحبة الصالحة، والخالصة لوجه الله، التي

تتطلق من المجالسة، وما فيها من مدارس ومؤانسة. كما أن الصوفية يتمسكون بمبدأ يد الله مع الجماعة، بالالتزام التام بالاجتماع في الله مع شيخ التربية والمريدين أو المرادين في الطريقة، على الذكر والمذاكرة والحضرة، وهو ما يترجم عن الروح الجماعية.

والصوفية يعتبرون أن الإسلام وطن، ورجال السند الصوفى فى طريقة الوصول يتوزعون على جميع أقطار العالم الإسلامى، ونتيجة ذلك ما نراه جلياً من وجود شيخ للطريق فى بلد معين، وله تلاميذ فى سائر أنحاء العالم الإسلامى أو غير الإسلامى.. لذلك فالقطرية والإقليمية ليست عائقاً فى الطريق الصوفى، ومن هذا المنطلق فإن التصوف كالحياة تماماً، مدرسة مفتوحة على مصراعيها أمام المنتسبين إليها، مع الحرص الشديد على هداية الناس، والأخذ بأيديهم إلى رحاب التقوى والعمل الصالح، الذى يرضى عنه الله ورسوله ﷺ وآله.

ثانياً: إن الوهابية التى أنشأها الاستعمار الانجليزى لتمزيق الأمة الإسلامية، وتفتيت وحدتها، وقتل روح الجهاد ضد المحتلين والمستعمرين من

الصهاينة والصليبيين، تعلم يقيناً أن الصوفية هم أهل الجهاد الشاق العنيف فى سبيل الكمال فى كل ميدان من ميادين الحياة، وتعلم أيضاً أن الأمة الإسلامية لم تنتصر فى الفتوحات الأولى للإسلام، ولم تهزم التتار، والصليبيين، والاستعمار الغربى إلا على يد الصوفية، لذلك وجدت الوهابية أن ما يحول بين الاستعمار الصليبي الصهيونى وبين تحقيق أهدافه هو الصوفية، فعمدت الوهابية إلى محاربة الصوفية فى شتى بقاع الأرض.

ولتحرى الدقة نقول: إن الصوفية هم أهل الجهاد، نعى جهاد ضد النفس والهوى، والجشع والطمع، والحقد والحسد، كما هو جهاد ضد الطغيان والجبروت والبطش، بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالإرهاب والاعتقال، فلم يثبت التاريخ أن الصوفية تأمروا لقلب نظام حكم، أو لقتل حاكم، لأن جهادهم للتصفية وللتسامى، ورياضة للقوة والتفوق، جهاد يمنح الصوفى عزيمة لا تقهر، وإرادة لا تغلب، وإيجابية عملية، وشجاعة نفسية، فههدفهم إصلاح الحاكم لا تغييره.

* يكتب حجة الإسلام الإمام الغزالى إلى (ابن

تاشفين) ملك المغرب فيقول له: (إما أن تحمل سيفك في سبيل الله، ونجدة إخوانك في الأندلس، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين، حتى ينهض بحقهم سواك).

* ويقول الإمام محيي الدين بن عربي شيخ الصوفية للملك الكامل، حينما تهان في قتال الصليبيين: (إنك دنىء الهمة، والإسلام لن يعترف بأمثالك، فانهض للقتال، أو نقاتلك كما نقاتلهم).

* ويطغى المماليك في أرض مصر، فيثور العز ابن عبد السلام الصوفى الكبير، ويأمر بالقبض على المماليك، ويعلن أنه قد اعتزم بيعهم في سوق الرقيق، لأنهم خانوا أمانة المسلمين.

* ويرى حاتم الأصم شقيقه البلخي - وكلاهما من أعلام الصوفية - يراه يضحك بين الصفوف في موقعة الترك، فيقول له: ما يضحكك؟ فيقول: (ألا أضحك وأنا في أحب المواطن إلى الله؟ إن أسعد أوقاتي، وأرجاها عندي، أن يرانى ربي ضارباً بسيفي في سبيله، وأنا بعد أحرص على الموت من حرصى على الحياة).

* ويقول عبد الملك بن مروان - الخليفة الأموى - لابن البيطار - الصوفى - فى غطرسة وغرور

الملك: (أنا عبد الملك فارفع حوائجك إليّ) فيقول له فى عزة المؤمن، وكبرياء الصوفى: (وأنا أيضاً عبد الملك، فهلم نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت له عبدان).

* ويقول الإمام الشعرانى مؤرخ التصوف: (من لبس جديداً، أو أكل هنيئاً، أو ضحك فى نفسه، أو سعد فى بيته - والأمة الإسلامية فى كرب أو شدة - فقد برىء منه الإسلام).

* وعندما طمع الملك فؤاد فى خلافة المسلمين، وأرسل حسن باشا نشأت رئيس الديوان الملكى للإمام المجدد أبى العزائم يستميله فى صفه، مع إغرائه بأكبر وظيفة دينية فى مصر، وبأموال طائلة، رد عليه الإمام المجدد قائلاً: (يا حسن.. قل لفؤاد: إن أبى العزائم لا يحب أن يراك، ولو أحببت أن يأتى فؤاد إلى هنا لجابنى حبواً، إذا وقف الرجل على باب السلطان حرم عطاء الحنان، ورجل الحق تخضع له التيجان، وخادم الحق له الخلق خدم أينما كان، والخير الإلهى لمن صدق وثبت) ثم قال كلمته الخالدة عن فؤاد وأمثاله من أمراء السوء:

(إن قوماً فقدوا الإسلام فى أنفسهم وبيوتهم

وشؤونهم الخاصة والعامة، لأعجز أن يفيضوه على غيرهم ودعوة سواهم إليه، وفاقد الشيء لا يعطيه).

هذه السمائل الصوفية النبيلة، وهذه الخطوط العريضة، من الإنسانية الرفيعة، والأخلاق الفاضلة، والشجاعة العالية، هي ما نحتاجه اليوم فى نضالنا الملتهب مع الصهيونية، وصراعنا الحار مع الصليبية، وجهادنا القوى لبناء أمتنا، وإعدادها لدورها التاريخي العظيم.. إلا أن الوهابية لها رأى آخر!!

ثالثاً: تحارب الوهابية الصوفية لأنهم استطاعوا أن ينشروا الدعوة الإسلامية، وأن يساهموا فى عالميتها دون سلاح أو غزو، فهم الذين حملوا نورها وهُداها إلى إندونيسيا والفلبين والصين وقلب أفريقيا وجنوبها وغربها، وهم الذين صمدوا فى وجه التيارات الإلحادية والانحلالية فى روسيا، وهم الذين وقفوا حصناً شامخاً يدفع عن الجماهير الإسلامية وثنية التتار بقيادة العز بن عبد السلام وسيف الدين الباخرسى، وعصيبة الصليبيين بقيادة السيد أحمد البدوى والسيد إبراهيم الدسوقى والسيد أبو الحسن الشاذلى، حتى أن الجبرتى ليحدثنا أن هزيمة الحملة الفرنسية على مصر، إنما كانت على أيدي رجال

المقاومة الشعبية من أبناء الطرق الصوفية وشيوخها، الذين جعلوا من الأزهر والأحياء الشعبية فى القاهرة حصوناً لا تقنحم.

ويضيف لنا صاحب تاريخ بغداد أن المتوكل العباسى، حينما ضاقت به الأرض وعصفت به الحروب، نادى أهل الفتوة الصوفية، فهرعوا إليه من كل مكان، فكانوا جيشه الكبير الذى حمى الإسلام وسان حدوده.

فالصوفية احتفظوا بالعلم الإسلامى، والخلق القرآنى، والهدى النبوى، وأسسوا فى كل مكان المساجد والملاجىء، والمعاهد والزوايا لطلاب العلم، ولطلاب الحياة، فكسبوا قلوب الملايين، وأسسوا دولة المرابطين والموحدين، لنجدة الأندلس، ولحماية المغرب العربى من وثيات الأورويين، وفتكات القراصنة الناهيين.. فحالت بين الاستعمار وبين خضوع المسلمين لمناهجه ونظمه وعاداته وتقاليده وانحلاله.

رابعاً: تحارب الوهابية الصوفية لتنفيذ المخطط البريطانى الماكر بتحويل مصر بالذات من التدين السننى الصوفى إلى التدين الوهابى، حتى تتمكن

الوهابية من السيطرة على العالم الإسلامي بالعقول المصرية، فقد أيقن الإنجليز أن انتشار المذهب الوهابي فوق طاقة علماء نجد، وأن العمق المصرى يمكن أن يكون رصيماً لدولة عبد العزيز آل سعود تركز عليه فى مواجهة خصومها الشيعة المتربصين بها فى الشرق والشمال والجنوب.. وقد شهد العام ١٩٢٦م بداية تحويل التدين المصرى الصوفى إلى الدين الوهابى، وكان سمسار هذا التحويل فى مصر اثنين من الشيوخ الشوام وهما: محب الدين الخطيب، ومحمد رشيد رضا.. وعن طريق محمد رشيد رضا بالذات تسلل الفقه الوهابى إلى مصر عبر الطرق الآتية:

(١) **الجمعية الشرعية**: أسسها الشيخ محمود خطاب السبكي سنة ١٩١٣م على أساس الولاء المطلق للتصوف، وفى إخضاع الفقه للتصوف كتب الشيخ محمود السبكي أولى مؤلفاته: (أغلب المسالك المحمودية فى التصوف والأحكام الفقهية) فى أربعة أجزاء، وكتاب (العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق) وغيرها.. ولكن فى سنة ١٩٢٦م اتخذت مؤلفاته طابعاً جديداً تحت شعار الدفاع عن السنة،

وبالطريقة الوهابية أخذ يهاجم التصوف تحت هذا الشعار، وفى هذا الاتجاه الجديد كتب ٢٦ كتاباً، إلى أن مات سنة ١٩٣١م، وعلى طريقه سار ابنه أمين السبكي فقد كتب فى الدعوة الوهابية تسعة من الكتب وتوفى سنة ١٩٦٨م.

وهكذا، وبالنفوذ السعودى الذى أرساه رشيد رضا انتشرت مساجد الجمعية الشرعية، وهى الآن أضخم جمعية فى مصر، تسيطر على عشرات المساجد ومئات الأئمة والوعاظ، وكانت ولا تزال الاحتياطى الاستراتيجى للإخوان المسلمين، وهم - أى الجمعية الشرعية والإخوان المسلمون - هم مادة الفكر الوهابى وحركته فى المجتمع المصرى.

(٢) **جمعية أنصار السنة**: فى نفس العام ١٩٢٦م أقامها الشيخ محمد حامد الفقى.. أحد الأزهريين الذين انشقوا عن الجمعية الشرعية، وقد أنشأ له عبد العزيز آل سعود منزلاً فى حى عابدين كان مقراً للدعوة الوهابية، وتخصصت هذه الجمعية فى نشر الفكر الوهابى، ومؤلفات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، كما أنشأوا مجلة (الهدى النبوى) سنة ١٩٣٦م- ولا تزال تصدر عن جماعة دعوة الحق،

التي أقامها د. سيد رزق الطويل الذي انشق عن جمعية أنصار السنة- وأصدروا مجلة (التوحيد) لتكفير الصوفية، ومحاربة سلطانهم الروحي على ملايين المصريين.

(٣) جمعية الشبان المسلمين: أنشئت سنة ١٩٢٧م بتخطيط محب الدين الخطيب رفيق محمد رشيد رضا في الدعوة الوهابية، والاتجاه الحركي يغلب على هذه الجمعية، وانتشرت وسط الشباب، وكان حسن البنا هو أهم الشباب فيها ودائم التردد عليها.. وقُتل على أبوابها سنة ١٩٤٨م^(١).

(٤) جماعة الإخوان المسلمين: أسست سنة ١٩٢٨م، وهي الاتجاه الحركي السياسي المسلح للوهابية، وكان إنشاؤها بعناية رشيد رضا وتوجيهاته، ورشيد رضا هو الذي قام بتقديم الشباب حسن البنا إلى أعيان السعودية، وأعمدة الدعوة الوهابية.

وتوفى رشيد رضا بعد أن قام بتوديع الأمير سعود ولي العهد في ميناء السويس سنة ١٩٣٥، وترك الراية يحملها وراءه تلميذه حسن البنا مؤسس

(١) وقد أممها الرئيس جمال عبد الناصر بعد ذلك.

الإخوان.

والشيخ حسن البنا اعترف في مذكراته (الدعوة والداعية) بصلته بحافظ وهبه مستشار الملك عبد العزيز والدوائر السعودية، والأستاذ جمال البنا شقيق حسن البنا يعترف بتلك الصلة بين شقيقه الأكبر ووالده والسلطات السعودية في كتابه (خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه)، والدكتور محمد حسين هيكل في مذكراته عن السياسة المصرية يشير إلى الصلة الوثيقة بين الشاب حسن البنا والسعودية، وأنه كان يتلقى المعونة والدعم منها.. وعن طريق الدعم السعودي استطاع البنا- وهو المدرس الإلزامي البسيط - أن ينشئ خمسين ألف شعبة للإخوان في العمران المصري من الإسكندرية إلى أسوان!!.

وهكذا انطلق الإخوان المسلمون المصريون إلى العالم العربي والإسلامي، ينشرون الفكر الوهابي، وتحول التدين المصري من التصوف السمج، إلى الوهابية بدمويتها على مهل خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وأخذ الإخوان المسلمون الجدد - التكفير والهجرة، والجهاد، والقطيبيون، والناجون من النار، والجماعات الإسلامية - يكررون - بعد نصف

قرن - ما كان يفعله إخوان مطير وعتيبة وعجمان في بلاد الحجاز ..

باختصار تسيدت السعودية العمق المصرى، واستغلته في توسيع الوهابية، وفي حصار المناهج الأخرى كالشيعة والصوفية حتى الأزهر الشريف^(١)، كل ذلك بالتنسيق مع العلمانية اليهودية.. وظهر البترول في المملكة في صدفة تاريخية، فانتشر النفوذ الوهابى سلمياً عبر قطار النفط السريع من مصر، ومن خلالها إلى العالم الإسلامى والأقليات الإسلامية في الغرب، والشرق.

والآن أيها القارئ الكريم.. ورد سؤال هام.. أرجو أن تسمعه بأذن قلبك الواعية:

لقد حصلت حروب بين المسلمين الذين كانوا

(١) أصبح مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف عشياً يجتمع فيه أنصار المذهب الوهابى، ويرفض أى كتاب أو شريط يتعرض من قريب أو بعيد للفكر الوهابى أو لابن عبد الوهاب، أو هيئة علماء السعودية، أو لآل سعود المعصومين، بينما يوافق على نشر كتاب جورج بوش الجد الذى يهاجم فيه الإسلام ونبىه ﷺ وآله.

يزورون روضات الصالحين كالسادة الصوفية، ويقولون: يا محمد اشفع لى عند ربك، وبين غيرهم كالصليبيين والتتار، ومن قبلهم ومن بعدهم، فهل كانت تلك الحروب قتالاً بين الكفار بعضهم ببعض، أو كانت بين المسلمين وبين غيرهم؟.

وعلى الأول لا ينبغي أن تعد الحروب الصليبية وما إليها من تاريخ المسلمين، بل تعد الغارات التى شنّها الوهابية على من آمن بالله وبسيدنا محمد وباليوم الآخر هى التاريخ الإسلامى فقط.

وعلى الرأى الثانى لم يبق من موضوع لدعوة الوهابية، أو للكثير من كلامهم ومؤلفاتهم.

رأى الأئمة المسلمين فى الصوفية:

إن الوهابية باعتراضها على الصوفية تخالف إجماع علماء المسلمين فى ذلك، وها نحن نضع بين أيدي الأئمة الإسلامية شهادة علمائها لمنهج التصوف ولسلوك الصوفية:

- يقول الإمام مالك: (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع

بينهما فقد تحقق).

- وقال الإمام الشافعي: (حُبِّبَ إِلَيَّ مَنْ دَنِيَاكُمْ ثلاث: ترك التكلف، وعشرة الخلق بالتلطف، والافتداء بطريق أهل التصوف).

- وقال الإمام أحمد: (لا أعلم أقواماً أفضل من الصوفية) قيل: إنهم يستمعون ويتواجدون؟ قال: (دعوهم يفرحوا مع الله ساعة).

- وقال المفسر الكبير فخر الدين الرازي: (المتصوفة قوم يشغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية، ويجتهدون ألا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى، في سائر تصرفاتهم وأعمالهم منطبعون على كمال الأدب مع الله تعالى، وهؤلاء هم خير فرق الأدميين).

- وقال الإمام جلال الدين السيوطي: (وقد تأملت الأمور التي أنكرها أهل الشرع على الصوفية، فلم أر صوفياً محققاً يقول بشيء منها، وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منها).

- وقال الإمام النووي شارح صحيح مسلم، وصاحب رياض الصالحين: (أصول طريق التصوف خمسة: تقوى الله في السر والعلن، واتباع السنة في

الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضى عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء).

- ويقول الإمام المجدد أبو العزائم: (الصوفية هم الذين صفت قلوبهم من شوائب الكون، وتطهرت نفوسهم من رجس الشهوات، وتعلقت همهم بالله عن شهود مبدعها، ولم تشغلهم الآيات الجلية عن فهم إشاراتها وذوق معانيها. هم عبيد الله السائرون على منهج نبيه ﷺ، وهم الذين تلقوا أسرار التوحيد، وأنوار الحكمة، بقلوب واعية، ونفوس صافية، من العلماء العارفين بالله، ورثة رسول الله ﷺ وآله).

هذه بعض الشهادات التي سجلها أئمة الأمة من فقهاء ومفسرين ومؤرخين ومحدثين وأئمة مجددين، إلا أن المفاجأة التي ادخرناها في آخر هذا الفصل للوهابية، تظهر في حكم أئمتها على الصوفية، ونحن نسألهم هل أنتم متبعون أم مبتدعون؟

فإن كنتم متبعين فامدحوا الصوفية كما مدحها شيوخكم، وإن كنتم مبتدعين، فأنتم خوارج وعملاء لأعداء الإسلام، وها هي شهادة شيوخكم في الصوفية:

- جاء في كتاب (الصوفية والسلفية) للشيخ إبراهيم اليوسف، ثم تكلم ابن تيمية - غفر الله تعالى له - عن المتصوفة فقال في المجلد الحادي عشر من الفتاوى الكبرى ص ١٦: (ثم التصوف عندهم لهم حقائق وأحوال معروفة، قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم: الصوفى من صفا من الكدر وامتلاً من الفكر). وهكذا.. إلى أن قال ابن تيمية في ص ١٧: (فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفى هذه الأمور ذميم، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين، وفى كل من الصنفين من يجتهد فيخطىء، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من ليس منهم)..

- ويقول ابن تيمية فى رسالته (الصوفية الفقراء): (والصوفية يسيرون بالسالك إلى درجة الصديقية، ولا تعلم درجة بعد الأنبياء أفضل من الصديقين).

وبشهادة ابن تيمية يكون اعتراض الوهابية على الصوفية مذموم، وعليهم أن يصححوا خطأهم، إن كانوا متبعين حقاً لشيخهم.

- وقد كتب العلامة الشيخ عبد الحفيظ المكي كتابه (موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية) وذكر رأى محمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية، وثناؤه عليهم، كما جاء فى القسم الثالث من مؤلفات محمد بن عبد الوهاب جزء (فتاوى ورسائل) فى الصحيفة (٣١) المسألة الخامسة، فقال: (إعلم - أرشدك الله - أن الله سبحانه وتعالى، بعث محمداً ﷺ بالهدى الذى هو العلم النافع، ودين الحق الذى هو العمل الصالح، فإذا كان من ينتسب إلى الدين: منهم من يتعانى بالعمل والفقهِ ويقول به كالفقهاء، ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين (أى الفقهِ والتصوف).. وهكذا يثبت محمد بن عبد الوهاب أن الصوفية سندهم هو رسول الله ﷺ، وإليه ينتسبون.

- وقال حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمون فى كتابه (مذكرات الدعوة والداعية): (دعوتنا دعوة سلفية صوفية إجتماعية).

- وجاء في كتاب (العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق) للشيخ محمود خطاب السبكي مؤسس الجمعية الشرعية بمصر ص ٣٠: (التصوف هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك، مع الأخذ بالأحوط من الأحكام، إلى أن قال: ولذا قالوا: الصوفية قعدوا على الدعائم الأصلية، ووقف غيرهم على الرسوم، ومن هنا فازوا فوزاً عظيماً، وبلغوا من الكمالات ما لم يصل إليه غيرهم بهمة قوية)، وهذه الشهادة من مؤسس الجمعية الشرعية كانت قبل أن يتوهم.

- ويقول أبو الأعلى المودودي في كتابه (مبادئ الإسلام) ص ١١٤: (فليس التصوف الإسلامي الخالص بشيء مستقل عن الشريعة، وإنما هو القيام بأحكامها بغاية من الإخلاص وصفاء النية وطهارة القلب)، والمودودي هو المرجعية الدينية للجماعات الإسلامية، أحفاد الوهابية.

ومما تقدم يتبين أن كل ما يخالف الإسلام في شيء فلا تصح نسبته إلى الصوفية والتصوف، وإنما هو من ضلالات المدّعين الذين انتسبوا للتصوف زوراً وبهتاناً، أو من الأمور المدسوسة على كتبهم، ولا نستبعد أيدي الوهابية من ذلك، بقصد الطعن في

هؤلاء القوم، وتشويه صورتهم ومنهجهم، كما حدث في كتب التفسير من الإسرائيليات، وقد اعترف الأب الروحي للوهابية (ابن تيمية) بالدس على السيدة رابعة العدوية حيث يقول في كتاب (مجموعة الرسائل والمسائل) الجزء الأول ص ٨٠: (وأما ما ذكر عن رابعة عن قولها عن البيت: إنه الصنم المعبود في الأرض، فهو كذب على رابعة المؤمنة النقية).

وختاماً

إننا نواجه اليوم الاستعمار العالمي، ونصارع الصهيونية الدولية، وهذا الصراع الهائل سيكتب فيه النصر الحاسم، لمن يملك قوى روحية وأدبية ومعنوية أعز وأقوى.

إن الأمم إذا تفككت خلقياً، أو ضعفت معنوياً، أو فقدت قوتها الإيجابية، وأضاعت عزيمة النضال وروح التفوق، فهي أمة منهزمة، ضائعة بين الأحداث، وعصف الوقائع.

فلنتجه إلى رسالة التصوف ولا نعبأ بثرثرة الوهابية وذيولها، نستمد من رسالة التصوف القوة الخلقية، والعزة الإيمانية، والفضائل الروحية، فننخذها

درعاً وحصناً يقي أمتنا ويحميها، ومعراجاً تصعد عليه إلى أهدافها وأمانها.

إن الصانع الذي نعده لنهضة مصانعنا، والتاجر الذي نهئته للوثوب بتجارتنا، والمزارع المكافح في حقولنا، والجندي الذي ندر به ليحمي بلادنا، كل هؤلاء يزدادون عزماً وبأساً، وإخلاصاً وتفوقاً، إذا ربطنا قلوبهم بالإيمان، وأعمالهم بالأخلاق.

يجب أن يعلم الصانع أن الله سبحانه يحب من عبده إذا عمل عملاً أن يتقنه، وأن الله يراقبه ويشاهده، لأنه في أعماق نفسه، وفوق يده وبصره.

والتاجر في متجره أو سوقه، يجب أن يدرك أن البركة في الصدق، والخير في العفة، وأن الرزق من عند الله الذي يعلم ما تخفي القلوب والصدور، قبل أن يعلم الحارس والرقيب.

والزارع والحاكم والموظف والجندي، وكل مواطن يعيش فوق أرضنا المقدسة؛ أن الله جل جلاله في ضمائرهم، وفوق سمعهم وسعيهم، نواصيهم بيده، وأرزاقهم تهبط إليهم من عنده. وليست في الأرض ولا في السماء، قوة تملك خيراً أو شراً، إلا قوته وحده جل جلاله؛ الواحد القهار.

وشبابنا هو عدتنا الكبرى، إن أفكاراً من هنا وهناك تخايله، فيها رياح وثنية، وعواصف وجودية، وتيارات علمانية انحلالية، وإن صحفاً ملوثة هازلة، وكتباً وفضائيات جنسية ماجنة، تغمره وتأخذ عليه بصره وسمعه، وإن فكر الوهابية يواثبه للخروج من الجهاد الأكبر - ألا وهو جهاد النفس - إلى جهاد القتل وسفك الدماء باسم التكفير والتشريك والتبديع، والإسلام من هذا الفكر براء، وإن صحفاً ومجلات وفضائيات تدعو لفكر الوهابية، وكتباً تزرع الإرهاب وتكفر المجتمع، تغمر شبابنا وتأخذ عليه بصره وسمعه.

إننا يجب أن نحمل شبابنا، وأن نزوده بالإيمان، ونحصنه بالأخلاق، ونطليه ونكمله بالروح والمثاليات والفضائل.

إن الوفاء والنبيل، والصدق والشرف، والعفة والنجدة، والبأس والشجاعة، والعزة والكرامة، والإخلاص والفضيلة - وكل صفة عالية ربانية - لا تنبعث من فكر الوهابية البغاة، ولا تأتي من أفق أدعياء التصوف الغلاة.

إنها صفات من وحى الله ورضاه، من إلهام الدين

قول ربنا سبحانه: ﴿وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩).

وينابيعه، ومن رسالة التصوف ومناهجه، لأن التصوف هو الخلق، وما زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف.

يجب أن يشع الروح الصوفي، الطاهر المؤمن القوى؛ في حياتنا ووجودنا، وأن نجعله مادة في معاهدنا ومدارسنا، ونوراً في صحفنا وكتبنا وإذاعتنا، وحياة ملهمة في كل مرفق من مرافق نهضتنا، وعلى الطرق الصوفية أن تستعيد دورها المنشود كجامعات كبرى للتربية والتهديب والتعليم، وإعداد أتباعها إعداداً إيجابياً للنضال والجهاد في سبيل المثل العليا في الحياة فوق رسالتها الأصلية، وهي الدعوة إلى الله سبحانه، وهداية المريرين إلى الصراط المستقيم، وإرشادهم إلى السلوك الموصل إلى رضوان الله سبحانه، ومحبه بالذكر والعبادة، وتطهير القلب، وتركية الجوارح، ومكارم الأخلاق، وخدمة المجتمع، والحب للناس كافة.. فالطرق الصوفية هي جامعة القرآن، ومدرسة النبوة، والمعهد العالي الذي ينبج للدنيا الصورة المثالية للإنسان الكامل في دينه ودنياه. حينئذ نظفر برضوان الله، وبسيادة الحياة، وتمتلىء أيدينا بعزة الصوفيين، وبأس المؤمنين، ويتحقق فينا

الفصل الثالث

المعنى الصحيح للعبادة

لقد كانت عبادة الله وحده - لا عبادة غيره منفرداً أو مشتركاً - أساس دعوة الأنبياء - عليهم السلام - وكان توحيد الله وكسر قيود الشرك أساس الأحكام السماوية، وفي طليعة رسالات الأنبياء جميعاً، فكان الهدف من بعثة الأنبياء هو الدعوة إلى عبادة الله وحده ومكافحة الشرك بصورة عامة، وفي العبادة بصورة خاصة.

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة بصراحة فيقول:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وقد اعتبر القرآن الكريم عبادة الله جامعاً مشتركاً بين كافة الشرائع السماوية فقال:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ٦٤).

إن التوحيد في العبادة هو أصل ثابت لدى المسلمين كافة، ولا يعارضه أحد ولا تختلف فيه أية فرقة من الفرق الإسلامية.

وجميع المذاهب والطوائف الإسلامية تتفق حول (توحيد الله في العبادة) ولا مجال لإنكاره، وإن كان هناك اختلاف فإنما هو في المصاديق لا في الأصل، أي أن بعض المسلمين يعتبر بعض الأفعال عبادة، في حين يعتبره سائر المسلمين تكريماً وتعظيماً لا غير.

وبالاصطلاح المنطقي: إن الاختلاف إنما هو في الصغرى - وهو: هل أن هذا الفعل عبادة أم لا؟ - ولا اختلاف في الكبرى - وهو هل تجوز عبادة غير الله أم لا؟ فهذا متفق على جوازه -.

وبعبارة أخرى: إن الاختلاف إنما هو في سلسلة أعمال يعتبرها الوهابيون عبادة، ولكن غيرهم من المسلمين - في العالم كله - لا يعتبرونها عبادة أصلاً.

فالمفروض أن نوضح معنى العبادة لغويًا وعلى ضوء القرآن الكريم أيضًا، وعند ذلك ستوضح المصاديق - المختلف فيها - بنفسها تلقائياً، ويظهر

لنا- بالتحديد والتحقيق - معنى العبادة.

ف (العبادة) و (التعظيم) و (الاحترام) و (التكريم) ألفاظ متعددة لها مصاديق معروفة، والفصل بينها سهل يسير.

إن الذى يعشق أحداً و يغرم بحبه، تراه يُقبَل جدران بيت معشوقه ويشم ملابسه ويلصقها على صدره، وبعد وفاته يقبل قبره ويلثم تربته.. ومع ذلك كله لا يعتبر أحد عمل هذا العاشق عبادة للمعشوق.

كما أن مسارعة الناس إلى مشاهدة الأجساد المحنطة للزعماء فى العالم، أو مشاهدة آثارهم ومنازلهم التى كانوا يعيشون فيها، والوقوف دقائق حدادا على أرواحهم، كل هذا لا يعتبر عبادة عند أى شعب من شعوب العالم، ولو كان حبهم وخشوعهم لأولئك على مستوى خشوع المؤمنين لله سبحانه، فإن أهل المعرفة والتحقيق هم الذين يستطيعون الفصل بين الاحترام وبين العبادة.

وقد اختار الوهابيون تعريفيين للعبادة واعتمدوا عليهما، ولكنهما ناقصان غير كاملين، وفيما يلى نذكرهما للمناقشة:

الأول.. العبادة: خضوع وتذلل.

لقد ورد فى كتب اللغة تعريف العبادة بـ: الخضوع والتذلل، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء: ٢٢). ولكن هذا التعريف لا يعكس معنى العبادة بصورة دقيقة، وذلك لما يلى:

إذا كانت العبادة مرادفة- فى المعنى- للخضوع والتذلل، فلا يمكن أن نعتبر أى إنسان موحداً لله، لأن البشر- بفطرتهم- يخضع لمن يتفوق عليه، معنوياً أو مادياً، كالتلميذ يخضع لأستاذه، والولد يخضع لوالديه، وكل محب لحبيبه.

بل إن القرآن الكريم يأمر الإنسان بأن يتذلل لوالديه فيقول: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤).

فإذا كان الخضوع والتذلل معناه عبادة من تذلت له، فهذا يستلزم الحكم بكفر من يبر والديه، كما أنه يستلزم الحكم بتوحيد من يعق والديه.

التعريف الثانى.. العبادة: نهاية الخضوع

لقد حاول بعض المفسرين- بعد أن أدركوا نقصان تعريف اللغويين للعبادة- ترميم هذا النقص وإصلاحه، فقالوا: (العبادة: نهاية الخضوع بين يدي من تدرك عظمته وكماله).

وهذا التعريف يشترك مع التعريف الأول فى النقص والإشكال وذلك:

لأن الله تعالى يأمر الملائكة بالسجود لآدم فيقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (البقرة: ٣٤).

إن السجود هو نهاية التذلل والخضوع لمن سجدت له، فإذا كان معنى العبادة هو نهاية الخضوع فإنه يستلزم القول بكفر الملائكة الممتثلين لأمر الله، وإيمان الشيطان المخالف لأمر الله.

وكذلك نرى أخوة يوسف سجدوا جميعاً ليوسف، كما يقول تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (يوسف: ١٠٠).

والرؤيا التى أشار إليها يوسف- فى الآية- هى

فى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤).

بل نرى أيضا كل المسلمين- اقتداء برسول الله - ﷺ - وآله يقبلون الحجر الأسعد المستقر فى زاوية الكعبة المشرفة ويتبركون، ونفس العمل يقوم به عباد الأصنام تجاه أصنامهم، مع العلم أن عملهم ذلك شرك قطعاً، وعمل المسلمين توحيد قطعاً.

إذن: ليس معنى العبادة نهاية الخضوع والتذلل، وإن كانت فى الحقيقة من أركان العبادة، إلا أنها ليست الركن الوحيد لها، فلا بد من القول بأن العبادة معناها الخضوع والتذلل المقرون بـ (الاعتقاد الخاص).. فالعبادة تتكون من عنصرين:

العنصر الأول: الخضوع والتذلل.

والعنصر الثانى: الاعتقاد الخاص.

وهذا الاعتقاد الخاص هو الذى يحسم الموقف ويفصل القضية.. فالخضوع- حتى لو لم يكن كثيراً- إذا كان مقروناً بالاعتقاد الخاص فهو عبادة.

وفى الحقيقة إن الاعتقاد الخاص هو الذى يصبغ العمل بصبغة العبادة، وبدون الاعتقاد الخاص لا

تتحقق العبادة حتى لو كانت بمظهرها.
والآن.. وبعد أن أثبتنا بطلان التعريفين اللذين
اعتمد عليهما الوهابيون، وظهر ضعفهما ونقصهما،
يأتى دور التحدث عن تعريف العبادة.

والسؤال الآن: ما هو (الاعتقاد الخالص) الذى
يفرز العبادة عن غيرها؟ إن هذا- بالضبط- ما
يتناوله الحديث الآن، وسوف يظهر من خلال تعريف
العبادة كما ذكره الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو
العزائم فى كتابه (الإسلام دين الله) حيث يقول ﷺ:
[العبادة هى فعل اختياري، مناف للشهوات البدنية،
يصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى، إطاعة
للشريعة.. فقولنا: فعل اختياري، يخرج منه الفعل
التسخيري والقهرى، ويدخل فيه الترك الذى هو على
سبيل الاختيار، فإن الترك ضربان: ضرب على سبيل
الاختيار وهو فعل، وضرب هو العدم المطلق لا
اختيار معه بل هو عدم الاختيار وليس بفعل، وبقولنا:
مناف للشهوات البدنية، يخرج منه ما ليس بطاعة،
وأما الأفعال المباحة كالأكل والشرب ومجاعة المرأة
فليست بعبادة من حيث إنها شهوة، ولكنها قد تكون
عبادة إذا تحرى بها حكم الشريعة، وإنما قيل: تصدر

عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى، لأنها إن خلت
عن نية، أو صدرت عن نية لم يقصد بها التقرب إلى
الله تعالى، بل أريد بها المراء لم تكن أيضا عبادة،
وإنما قيل طاعة للشريعة، لأن من أنشأ من نفسه فعلا
ليس بسائغ فى الشريعة لم يكن عبادة، وإن قصد به
التقرب إلى الله تعالى.

فالعبادة إذاً هى فعل بجميع الأوصاف كلها،
والعبادة تكون محمودة إذا تعاطاها الإنسان طوعاً
واختياراً لا اتفاقاً واضطراراً، ودائماً لا فى زمان
دون زمان، ولأجل أن ذاتها حسنة لا لأجل غيرها،
فمن أتمها على الوجه الأكمل فهو الموصوف بقوله
تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:
١٤٦).

ومن خلال هذا التعريف الجامع للعبادة،
يمكن أن نستنتج ثلاث نتائج هى:

أولاً: العبادة خضوع عملي أو لفظي ينبع من عقيدة الإنسان بـ (الألوهية).

ما معنى الألوهية؟ هذه نقطة حساسة يجب تحديدها.

الجواب: إن الألوهية مشتقة من الإله، والإله هو الله- وهو الخالق سبحانه-.

وإذا كان الإله قد فسر- أحياناً- بمعنى المعبود فإنما هو تفسير باللازم، أى أن الألوهية تستلزم العبودية، لا أن معنى الإله هو المعبود.

إن الأمم التي تعتقد بالإله تعتقد- بالتبع- بضرورة عبادته، سواء كان الإله حقاً- كالله سبحانه- أم باطلاً- كما سوى الله- ولهذا يفسر الإله بالمعبود من هذه الجهة فقط.

والدليل الواضح على هذا التعريف، هو الآيات التي وردت في هذا المجال، فمن خلال التأمل في تلك الآيات يظهر لنا أن العبادة هي الأعمال والأقوال النابعة من الاعتقاد بالألوهية وأن مع عدم الاعتقاد لا تتحقق العبادة، ولهذا ترى القرآن الكريم- عندما يأمر بعبادة الله- يستدل فوراً بأنه لا إله غيره، فمثلاً يقول:

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩).

وقد ورد مضمون هذه الآية في تسع مواضع من القرآن أو أكثر، ويمكنك- أيها القارئ- مراجعة هذه الآيات في سورة الأعراف آية ٦٥ و ٧٣ و ٥٩، وسورة هود آية ٥٠ و ٦١ و ٨٤، وسورة الأنبياء آية ٢٥، وسورة المؤمنون آية ٢٣ و ٣٢، وسورة طه آية ١٤.

إن هذه العبارات تدل على أن العبادة هي ذلك الخضوع والتذلل النابع من الاعتقاد بالألوهية، وبدون هذا الاعتقاد لا يسمى العمل عبادة.

وإليك المزيد من الآيات الدالة على هذا المقصود، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الصافات: ٣٥). لماذا يستكبرون؟

لأنهم يعتقدون بآلهة غير الله، ويعبدونها؟. ويقول سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الطور: ٤٣). ويقول: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ..﴾ (الفرقان: ٦٨). ومما يدل على أن دعوة المشركين كانت مقرونة بالاعتقاد بالألوهية أصنامهم هي هذه الآيات: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٧٤﴾ (يس: ٧٤) ﴿أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ آلِهَةٌ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٩). ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ (الأنعام: ٧٤). إن التأمل في الآيات التي تتحدث عن شرك عبدة الأصنام يكشف لنا عن هذه الحقيقة، وهي أن شرك هؤلاء إنما كان بسبب اعتقادهم بالوهية أصنامهم المعبودة، وأن تلك الأصنام هي آلهة صغيرة قد خول الإله الأكبر بعض صلاحياته إليهم، فهي مخلوقة ومعبودة في وقت واحد، ولهذا كانوا يرفضون دعوة التوحيد.

يقول القرآن الكريم: ﴿ذَلِكُمْ بَأْنَهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر: ١٢).

النتيجة الثانية: إن العبادة هي الخضوع بين يدي من يعتبره رباً.

ويمكننا أن نعرفها كالتالي: العبادة هي الخضوع العملي أو القولي لمن يعتقد بربوبيته، فالعبودية تلازم الربوبية، فإذا اعتبر إنسان نفسه عبداً لمن يعتقد ربا تكوينياً - سواء كان ذلك رباً واقعاً أم لا - وخضع له

مع هذا الاعتقاد فقد عبده.

وفي القرآن الكريم آيات يستفاد منها أن العبادة هي من شؤون الربوبية، وإليك بعضها:
﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة: ٧٢) ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (مريم: ٣٦) وغيرها من الآيات.

وهناك آيات تعتبر العبادة من شؤون الخالق، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ (الأنعام: ١٠٢).

ما معنى كلمة الرب؟

تطلق كلمة رب- في اللغة العربية- على من أسند إليه تدبير شئ ما، وترك مصير ذلك الشئ بيده، فإذا أطلقت هذه الكلمة على مالك الدار ومالك الإبل ومرضعة الطفل والفلاح- وغيرهم- فإنما هو بسبب امتلاكهم لإدارة الشئ وتكفلهم لمسئوليته.

وإننا إذ نعتبر الله تعالى ربا فإنما هو بسبب أن شؤوننا وأمورنا ومصيرنا- كالموت والحياة والرزق والصحة، والتقنين والتشريع، والمغفرة والعفو وغير

ذلك- بيد الله تعالى.

والآن.. لو اعتقد إنسان أن أحد هذه الشؤون- أو كلها- قد خولها الله تعالى إلى شخص ما، فإن الاعتقاد يعنى اعتبار ذلك الشخص رباً، والإيمان بهذا الرب والخضوع له عبادة له.

أما النتيجة الثالثة فهي: (العبادة): خضوع أمام من نعتبره إلهاً أو مصدرأ للأعمال الإلهية).

لاشك أن الأعمال المتعلقة بالكون والوجود- كتدبير شؤون العالم، والإحياء والإماتة، وبسط الرزق بين الموجودات وغفران الذنوب- هي خاصة بالله تعالى.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: نحن نعلم أن عالم الخلق والإيجاد هو عالم منظم، ولا يحدث أى شئ فى هذا العالم إلا بأسباب تعود إلى الله تعالى، والقرآن الكريم يشير إلى هذا الموضوع فيقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (المؤمنون: ٨٠). ويقول سبحانه- فى موضع آخر- أن من الملائكة من تتولى قبض الأرواح، وهو قوله:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: ٦١).

بناء على هذا.. يمكن الجمع بين هاتين الآيتين فنقول: إن الفاعلية والسببية لهذه العلل والعوامل الطبيعية- مادية كانت أم معنوية كالملائكة- إنما تتحقق بإذن الله، والفاعل هو الله تعالى.

والآن.. لو أن إنساناً اعتقد بأن الله قد فوض أفعاله- من الإرزاق والإحياء وغيرهما- إلى بعض مخلوقاته- كالملائكة والأولياء- وأنهم الذين يديرون شؤون الكون ويدبرون أموره، ولا علاقة لله سبحانه بذلك، ودفعه هذا الاعتقاد إلى الخضوع لهم، فما من شك أن خضوعه هذا عبادة، وأن عمله هذا شرك بالله سبحانه.

وبتعبير آخر: لو اعتقد بأن الله قد فوض صلاحية تنفيذ هذه الأفعال إلى الملائكة والأولياء، وبقي سبحانه مجرداً من كل صلاحية، والملائكة والأولياء ينفذون تلك الأفعال بالاستقلال ومن دون إذنه سبحانه، فيكون هذا الإنسان- المعتقد هذا الاعتقاد- قد جعل الله مثلاً ونداءً، ولا شك أن هذا الاعتقاد هو الشرك بذاته، وأن التوسل والخضوع- النابعين من هذا الاعتقاد- هو

عبادة، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

وختلاصة القول: إن أى عمل ينبثق من هذا الاعتقاد ويدل على الانقياد والخشوع، فهو عبادة، وفى المقابل: إن أى تصرف لا يستند إلى اعتقاد كهذا، لا يعتبر عبادة ولا شركاً، فلو خضع إنسان أمام موجود وكرمه وعظمه، دون أن يعتقد به هذا الاعتقاد، فلا يعتبر عمله شركاً ولا عبادة، حتى لو فرض عمله ذلك حراماً.

مثلاً: لا يعتبر سجود العاشق لمعشوقه، والمأمور لأمره، والمرأة لزوجها.. عبادة، بالرغم من أنه حرام شرعاً، لأن السجود خاص بالله تعالى، ولا يجوز لأحد أن يأتي به - حتى بصورته الظاهرية المجردة عن العقيدة - إلا بأمره سبحانه.

فلو أن إنساناً خضع وتواضع لآخرين، دون أن يعتبر أحدهم إلهاً أو رباً أو مصدرًا مستقلاً لأفعال الله تعالى، بل يحترمهم لأنهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦ - ٢٧).

فإن عمله هذا ليس إلا تعظيماً وتكريماً لهم، ولا علاقة له بالعبادة أبداً.

ولو قام الناس - تجاه هؤلاء الأولياء المقربين - بما ينبغى من التعظيم والتجليل والتكريم والاحترام - سواء فى حياتهم أو بعد وفاتهم - دون أن يعتبروهم آلهة، ولا مصدرًا مستقلاً لأفعال الله، فليس هناك من يعتبر هذا العمل عبادة، ولا القائم به مشركاً، بل بالعكس يعتبرهم حضاريين تقدميين يقدرون أولياء الله ويخلدون ذكرياتهم، ويتخذونهم قدوة وأسوة لهم.

إن تعظيم أولياء الله تعظيم لشعائر الله - كما سبقت الإشارة إليه فى لقاءات سابقة^(١) - وإن الإسلام يزخر بالشعائر الإلهية.

لقد كان رسول الله ﷺ وآله يقف عند الحجر الأسعد ويستلمه ويقبله، مع العلم أنه ليس إلا حجراً. ونحن كذلك نفتدى بهذا النبى العظيم فنقبل الحجر الأسعد، ونطوف حول بيت الله - الذى ليس إلا مجموعة من الطين والحجر - ونسعى بين الصفا

(١) راجع الكتاب الرابع والعشرين (موحدون لا قبوريون) الجزء الأول، من هذه السلسلة المباركة.

والمروءة- وليسوا إلا جبليين- أى: إننا نفعل نفس ما كان يفعله عبدة الأصنام تجاه أصنامهم، ولكن لم يخطر ببال أحد- حتى الآن- بأننا نعبد الطين والأحجار.. لماذا؟ لأن الأحجار لا تضر ولا تنفع، أما لو أدينا هذه المناسك مع الاعتقاد بأن هذه الأحجار والجبال هي الإله ومصدر آثاره، لأصبحنا- عند ذلك- فى عداد عبدة الأصنام.

وعلى هذا الأساس: فإن تقبيل يد النبى أو الإمام أو المعلم أو الوالدين، وكذلك تقبيل القرآن الكريم والكتب الدينية، وتقبيل الضريح وكل ما يتعلق بعباد الله الأذكياء ليس إلا تعظيماً وتكريماً لهم لا غير، وتعظيمهم ليس إلا تعظيماً لله سبحانه.

لقد ورد فى القرآن الكريم سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وسجود إخوة يوسف ليوسف عليه السلام، ولم يخطر ببال أحد بأن هذا السجود كان عبادة لآدم أو ليوسف، والسبب فى ذلك هو أن الذين سجدوا لآدم وليوسف لم يعتقدوا لهما بالألوهية والربوبية، ولم يعتبروهما مصدرراً لأفعال الله تعالى، بل كان ذلك من باب التعظيم والتكريم لا العبادة، كما هو واضح.

إن الوهابيين عندما يواجهون هذه الآيات القرآنية

ويصطدمون بها، تراهم يبحثون- هنا وهناك- عن تبرير وذريعة لها، فيقولون: إن سجود أولئك لا يعتبر عبادة، لأنه جاء بأمر الله تعالى.

والجواب: صحيح أن كل ذلك- حتى سجود إخوة يوسف- كان بأمر الله أو رضاه، ولكن الشيء الذى يتعافل عنه الوهابيون ويتجاهلونه هو أن حقيقة العمل أيضاً لم تكن عبادة، ولهذا أمر الله به، ولو أن السجود عبادة للمسجود له لما أمر الله بذلك أبداً، لأن الأمر لا يخرج العبادة عن حقيقتها، ولا يجعل الشرك توحيداً. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٨).

والخلاصة: إن حقيقة العمل يجب أن تكون غير عبادته قبل صدور الأمر بها من الله تعالى، حتى يتعلق الأمر بها، ولا يتصور- بأى وجه- أن يكون العمل عبادياً فيأتى الأمر فيسقطه عن العبادية.

إن هذا التبرير الذى يلجأ إليه الوهابيون- والذى طالما سمعناه من مشايخهم فى نجد- إنما يدل على الجمود الذى يعيشونه تجاه المعارف القرآنية، وعدم معرفتهم بأن العبادة لها حقيقة مستقلة، ويطرأ عليها الأمر تارة، والنهى تارة أخرى، أى أن الشيء- بذاته-

عبادة، فيأمر الله تعالى به أو ينهى عنه، كالصلاة والصوم، حيث يأمر الله المكلفين بأدائهما، ونهى المرأة الحائض عنهما، أو كصوم عيد الفطر والأضحى حيث نهى الله عنه فيهما جميع الناس.

فإذا كان سجود الملائكة لآدم وسجود إخوة يوسف له عبادة لهما، فإن الأمر به لا يخرج عن حقيقة العبادة، فلا بد من القول بأن الاعتقاد بالألوهية أو الربوبية الذى يحرم الفعل ويجعله عبادة، أو الاعتقاد بكون الموضوع له مصدر لأفعاله سبحانه.

أيها القارئ الكريم: يجب أن تعلم بأن إزالة الخلافات - الموجودة بين المسلمين والوهابيين فى كثير من المسائل - تتوقف على تحليل مفهوم العبادة، ومع عدم الوقوف على تعريف منطقي للعبادة، وعدم التفاهم والإنصاف بين الطرفين، لا فائدة من البحث والمناقشة.

فالوهابيون يقولون: إن كثيراً من الأعمال التى تقومون بها - أيها المسلمون - تجاه النبي ﷺ وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام، والأولياء والصالحين رضى الله عنهم هي عبادة لهم، وذلك يستلزم الشرك فى عبادة الله تعالى.

فيجب على المسلمين أن يقدموا توضيحاً وتشريحاً دقيقاً لـ (العبادة) حتى يجردوا الوهابيين من هذا السيف الموهوم.

إن الوهابية تعتبر كثيراً مما يقوم به المسلمون تجاه الصالحين الذين انتقلوا إلى الرفيق الأعلى عبادة لهم، مثلاً:

الاستشفاع من النبي والصالحين.

الاستشفاء من أولياء الله.

طلب قضاء الحوائج من قادة الدين.

تكريم صاحب الروضة وتعظيمه.

الاستعانة بالنبي الأكرم، وغيره.

فهم يقولون: إن الشفاعة من أفعال الله، وكذلك الشفاء منه سبحانه، فطلب أحدهما من غيره يؤدي إلى عبادته.. والسؤال الذى يفرض نفسه:

ما هو فعل الله؟

نحن - فى هذه العجالة - نقدم قولاً موجزاً عن أفعال الله ومعناها، كى يتضح الموضوع.. فنقول: إذا كان الذى يقوم بالشفاعة والشفاء يقوم بهما بقدرته الشخصية وبارادته المستقلة، من دون أن يكون قد

اكتسب حق الشفاعة من أحد، ومن دون اعتماد على قدرة تتفوق عليه، فهذا من أفعال الله الخاصة به سبحانه، والاستشفاع من أحد- بهذا الاعتقاد- معناه الإيمان بربوبيته وألوهيته.

أما لو كان الاستشفاع والاستشفاء سليماً من هذا الاعتقاد، بأن يستشفع الإنسان ممن يعتقد بعبوديته لله، وأنه يتصرف بالاستعانة بقدرة الله تعالى وإذن منه سبحانه، فهذا الاستشفاع والاستشفاء لا يلزم الاعتقاد بالألوهية والربوبية، ولا هو طلب فعل الله من غير الله.

يقول القرآن الكريم عن لسان النبي عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٤٩).. ونفس هذا التوضيح يأتي بالنسبة إلى طلب قضاء الحاجة من أحد أولياء الله أو الاستعانة به، فطلب قضاء الحاجة له صورتان:

الصورة الأولى: الطلب من العبد- مع الاعتقاد بقدرته المستقلة- فهذا عبادة.

الصورة الثانية: الطلب من العبد- مع الاعتقاد بعبوديته لله واستمداده منه سبحانه- فهذا لا يرتبط بالعبادة أبداً.

إن هذا التوضيح ليس فقط الحد الفاصل بين العبادة وغيرها، بالنسبة إلى هذه الأفعال، بل هو قاعدة عامة تفصل بين التوحيد والشرك في كل المؤثرات والأسباب.

إن الاعتقاد بتأثير الدواء مثلاً في تسكين أو علاج الآلام، إذا كان نابعاً من قدرته المستقلة في ذلك، وأنه لا يرتبط بقدرة أعلى- وهي الله تعالى- فهذا معناه الاعتقاد بألوهيته، أما الاعتقاد بأن الله تعالى هو الذى جعل هذا الأثر في الدواء، وأن هذا الدواء ليس إلا سبباً لتسكين أو علاج الآلام، وأنه لا يسكن الألم أو يدفعه إلا بإذن الله، فإن هذا الاعتقاد نابع من التوحيد ذاته، لأنه (لا مؤثر في الوجود إلا هو).

ولهذا قلنا: إن حسم الخلافات يتوقف على تحديد معنى العبادة، وفرز التوحيد من الشرك، وأفعال الله من غيرها، والألوهية من العبودية.

الفصل الرابع

مشروعية الذكر

خلق الله تعالى القلوب سليمة من حيث أصلها، لقول النبي ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [أخرجه البخارى فى تفسير القرآن].

ولكن الإنسان يعتريه فى سيره وسلوكه إلى ربه عوائق وعقبات، تتمثل فى صحبة أهل الغفلة والسوء والتمادى فى صحبتهم، فيبعد القلب عن فطرته التى فطره الله عليها، فيعلوه صدأ الغفلة فيحجبه عن أنوار ربه، ولهذا نهانا ربنا عن الركون القلبي وعن الجلوس بالبدن مع أهل الغفلة، وهم أهل الظلم لأنفسهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (هود: ١١٣). وقال عز من قائل: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨). لأن الركون القلبي يسبب لصاحبه بعداً هو عين الغفلة.. والجلوس بالجسم مع الظالمين يسبب الذنوب. وصدأ القلب يحدث بأمرين: بالغفلة والذنوب،

وجلاؤه يكشفه رسول الله ﷺ بشيئين، حيث يقول ﷺ فى الحديث الذى أخرجه ابن عدى والطبرانى فى الصغير: (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الله تعالى) وذكره السيوطى فى الصغير: (... وجلاؤها الاستغفار). فكان الذكر علاجاً لمرض الغفلة، والاستغفار علاجاً للذنوب.

فالذكر دواء، والدواء يوصف لزوال مرض معين، ولا يصف الدواء الناجع إلا طبيب يشخص حقيقة الداء فيصف الدواء الذى يناسبه، وهو الخبير القرآنى والطبيب الروحانى الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩). وقوله: ﴿وَلَا يَنْبُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (الفرقان: ٥٩).

وحيث إن أدوية الجسم تؤخذ من طبيب متخصص، ولا تؤخذ من الكتب أو من وصف جاهل، وقد يكون بالحقن أو بالحبوب، أو شراباً، فكذلك الذكر لا يؤخذ إلا من الأئمة المرشدين الكمل.

والذكر هو عنوان الولاية، وبيان الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامة صحة البداية، ودلالة صفاء النهاية.. فهو طريق الحق، ووسيلة الصدق، فما سلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق الذكر، وإن لم يكن

فيه سوى قوله تعالى: (أنا جليس من ذكرنى) لكان ذلك كافياً.

والذكر ثبتت مشروعيتها بالكتاب الكريم، والسنة الشريفة المطهرة.

أولاً: حجية الذكر فى الكتاب

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (آل عمران: ١٩١). يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رحمته: (الذكر الكثير هو حضور القلب مراعيًا اسم الرب، ولا يتحقق الذكر الكثير بأن يكون باللسان فقط، بل لا بد أن يكون بكل الجوارح).

- وقال جل ثناؤه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٢). يقول الإمام أبو العزائم: (إذا ذكر اللسان سكنت النفس، وإذا ذكرت النفس سكن القلب، وإذا ذكر القلب سكنت الروح، وإذا ذكرت الروح سكن السر، وإذا ذكر السر سكنت نفخة القدس، وإذا ذكرت نفخة القدس ذكر الله تعالى).

- وقال عز وجل: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت: ٤٥). يقول الإمام أبو العزائم: (الذكر الأكبر: أن

يذكر العبد ربه حاضراً معه، مشاهداً لجماله العلى وجلاله).

- وقال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٩١). هذه الآية تشير إلى أن الذكر غير مؤقت، بل هو مطلوب فى عموم الأوقات، وجميع الأحوال، إما على جهة الفريضة، وإما على جهة النافلة، قال الإمام أبو العزائم: (متى صحت حياة الروح ذكرت الله قائماً وقاعداً ونائماً، لأن الجسم لا بد له من النوم، والروح لا تنام إذا صحت حياتها الروحانية) ويقول: (الذين يذكرون الله قياماً بما أمر، وقعوداً عما نهى، وعلى جنوبهم، أى: فى جميع أحوالهم).

- وغير ذلك من الآيات الكريمة الصريحة فى الحث على الذكر.

ثانياً: حجية الذكر فى السنة

يفهم من الأحاديث الآتية أن الذكر ليس فقط عنصراً أو جانباً من المأمورات، ولا هو فقط قاسم مشترك فيها، وإنما قد يكون أفضلها، ومن الأحاديث التى ذكرت ذلك صراحة:

نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير من ملئه) [أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما].

يقول الإمام أبو العزائم رحمته الله: [قال تعالى في الحديث القدسي: (من ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي) فالنفس عبارة عن الوجود، والذكر عبارة عن الشهود، وذكره لعبده مدده الذي به السعيد مسعود، وقوله: (ومن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير من ملئه) أي: ومن ذكرني في ملاً ناظرين بالفرق (الكثرة)، ذكرته في ملاً مشاهدين بالجمع (الوحدة) فهم عبيد حضرة الإطلاق].

وشرح ذلك: أن العبد الذي يكرمه الله برسول الله صلى الله عليه وسلم ينفع قلبه بالذكر، لأنه قلب سليم مستنير بتجليات المذكور، ومنفعلاً بأنوار تجليات الحق سبحانه، وهنا ينتقل من ذاكر له سبحانه إلى مذكور عنده، فيكرمه المذكور سبحانه بمواجهته في نهاية ذكره، بعد أن ناداه في البداية، فيرى أنوار ربه حيث ولى، ثم يكرمه برؤية أنوار تجلياته في ذات العبد، فيذكره في نفسه، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

- عن أبي سعيد الخدري قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العباد، فقال: (أفضل العباد درجة عند الله يوم القيامة الذاكرون الله كثيراً، قيل: ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون أفضل منه درجة) [رواه مسلم والترمذي وأحمد والسيوطي].

- عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبتكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربون أعناقكم، قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ذكر الله تعالى) [رواه ابن ماجه، والترمذي، والحاكم في المستدرک، والنووي في الأذكار، وأحمد في مسنده].

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبق المفردون، قالوا: وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات) [أخرجه مسلم].

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في

(الأعراف: ٢٠٥). وهذا هو مقام أهل الذكر.

يقول الإمام أبو العزائم رحمته الله:

فى الذكر أشهد نور الله قد ظهرا

والمصطفى خير خلق الله قد حضرا

يسقى النفوس ظهور الراح صافية

من ذاقها حال الذكر قد سكر

أقسام الذكر

وللذكر أقسام لا بد وأن نشير إليها، توضيحاً لها،
وبياناً لشأنها، ومنها:

أولاً: ذكر السر والجهر:

إن ذكر الله تعالى مشروع سراً وجهاً، وقد رغب رسول الله ﷺ فى الذكر بنوعيه: السرى والجهرى، وعلماء الشريعة الإسلامية قرروا: أفضلية الجهر بالذكر إذا خلا من الرياء، أو إيذاء مصل أو قارىء أو نائم.. مصداقاً للحديث: (فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير من ملئه).

ثانياً: الذكر المنفرد والذكر مع الجماعة:

العبادات مع الجماعة، وفيها ذكر الله تعالى، تزيد فى الفضل على العبادة فى حالة الانفراد، وفى الجماعة تلتقى القلوب، ويكون التعاون والتجاوب، ويستقى الضعيف من القوى، والمظلم من المنور، والكثيف من اللطيف، والجاهل من العالم.. وهكذا.

- أخرج البزار والحاكم فى المستدرک عن جابر قال: خرج علينا النبى ﷺ فقال: (يا أيها الناس.. إن لله سارياً من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض، فارتعوا فى رياض الجنة، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا فى ذكر الله).

- وأخرج البيهقى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حلق الذكر).

قال العلامة ابن عارح الأذكار فى معنى هذا الحديث: إذا مررتم بجماعة يذكرون الله فاذكروا موافقة لهم، أو اسمعوا أذكراهم، فإنهم فى رياض الجنة حالاً أو مآلاً قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾

المفردون يا رسول الله؟ قال: المستهترون بذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافاً (رواه مسلم والترمذى).

والمستهترون: هم المولعون بالذكر المداومون عليه، لا يباليون ما قيل فيهم ولا ما فعل بهم.

شبهات وأباطيل حول الذكر

تثور شبهات وأباطيل عن شرعية أحوال وتصرفات الذاكرين، وقد لاحظنا الاتهامات الموجهة للصوفية عموماً (إذ هم المشهورون بكثرة الذكر)، ولأدعياء التصوف خصوصاً، بأنهم يبتدعون فى الذكر، بل يمرقون من الدين عموماً.

ومن الناحية الأخرى، يتهم الصوفية هؤلاء المهاجمين بسوء الفهم، وقلة البضاعة فى العلم، وبالهوى والمغالطة فى استنباط الأحكام، وأصبح المسلمون فى بلبلة عظيمة بين ما هو حق وما هو باطل بخصوص ذكر الله، فلا بد لنا - والحال على ما هو عليه - أن نتعرض لهذه المجادلات ولو باختصار، لننتبين منهاج أهل الحق خلالها.. والنقاش يدور فى موضوع ذكر الله حول أمور وظواهر

جنتان ﴿الرحمن: ٤٦﴾ قال الإمام أبو العزائم: (إن لله جنتان، جنة عاجلة وهى المعرفة بالله، وجنة آجلة، من دخل العاجلة لا يحتاج إلى الآجلة).

ثالثاً: الذكر المقيد والذكر المطلق:

- **الذكر المقيد:** هو الذى ندبنا إليه رسول الله ﷺ مقيداً بزمان خاص ومكان خاص، كالذكر بعد أداء كل صلاة، وأذكار المسافر والأكل والشارب، وعند المرض والموت، وأذكار الصباح والمساء.. إلخ.

- **الذكر المطلق:** فهو لم يقيد بزمان ولا مكان، ولا وقت ولا حال، ولا قيام ولا قعود، قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥). وذم الله المنافقين بقوله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٤٢).

- وقال ﷺ: (ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها) (أخرجه الطبرانى فى الكبير، والإمام أحمد فى مسنده، والبيهقى فى الشعب بإسناد جيد).

- وقال ﷺ عندما مر على جبل جمدان فى طريق مكة: (سيروا هذا جمدان سبق المفردون. قيل: وما

وممارسات أهمها:

- العبادات ذكر، وقراءة القرآن ذكر، والعلم ذكر، فلم تخصص للذكر عبادة مخصوصة؟
- هل يجوز الاجتماع لغرض الذكر وحده، والعبادات توقيفية من الشارع سبحانه وتعالى؟
- هل يجوز الذكر في المساجد؟
- هل يجوز الجهر بالذكر جماعة، وهل ورد ذلك عن رسول الله وأصحابه؟
- وما القول فيما لوحظ على بعض الذاكرين من الاهتزاز والحركة الجسمانية؟
- وللرد على الشبهات والأباطيل حول الذكر نقول:

أولاً: إن حلق الذكر شيء والعبادات شيء آخر:

- قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء: ١٠٣)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتَ الصَّلَاةَ فانتشرُوا فِي الْأَرْضِ وَإِبتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠). فهذه الآيات تبين أن الذكر عبادة مستقلة تؤدي بعد الانتهاء من الصلاة.

- وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مِّنَاسِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠٠) فالذكر عبادة مستقلة تؤدي بعد الانتهاء من الحج.

- وروى أبو داود وابن ماجه ومسلم والترمذى وأحمد قال ﷺ: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده). وحاشا لرسول ألا يفرق بين كلمة (تلاوة) و (مدارسة)، أو لا يفرق بين كلمة (قراءة) و (ذكر) في وصيته لمعاذ بن جبل: (عليك بقراءة القرآن وذكر الله فإنه نخر لك في الدنيا وذكر لك في السماء).

- أخرج البخارى ومسلم، قال ﷺ: (إن ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تتادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عز وجل - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادي؟ قالوا: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.

فيقول: هل رأوني؟، فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: وكيف لو رأوني؟، يقولون: لو رأوك كانوا

أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وتحميداً، وأكثر لك تسبيحاً.

يقول: فما يسألونى؟، قالوا يسألونك الجنة، يقول: وهل رأوها؟، يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟، يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.

يقول: فمم يتعوذون؟، يقولون: من النار، يقول: وهل رأوها؟، يقولون: لا والله يارب ما رأوها، يقول: فكيف لو رأوها؟، يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.

فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم).

فهؤلاء لم يقرأوا قرآناً، ولم يتدارسوا علماً، ولم يصلوا أو يصوموا أو يحجوا، وإنما جلسوا لعبادة مخصوصة اسمها الذكر.

ووجود الملائكة فى مجلس الذكر لا يقف عند تبليغ الله سبحانه- وهو أعلم- بمجلس الذكر وبمن فيه وما يطلبونه، أو عند حد صعودهم عند انتهاء المجلس

وانصراف من فيه.. ولكن هذا المجلس ينبئ عن وجود شحن ملكوتى لقلوب من فيه بالمواجهة الملكوتية.. وكما أن لجلسات الأشعة الطبية تأثير فى العضو المادى إذا وجهت إليه بأمر الطبيب، فأشعة الملكوت فوق أشعة الملك فى التأثير على ملك وملكوت أهل المجلس، وبذلك يعود من بحلقة الذكر إلى أهليهم بحال أعلى، وقلب أسلم، وروح أصفى، يظهر فى المعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة، فالزوجة ترى فى زوجها جمالاً كما ترى الحورية جمال زوجها فى الجنة، وهو يراها فى صورة أجمل وأحسن مما كانت عليه قبل حلقة الذكر، فتسرى فى البيت أنوار المحبة، وتتحقق المودة والسكينة.. وما كثرت شكوى الأسر من سوء العلاقات الزوجية إلا لأنها رفضت العلاج الذى أمر به رسول الله ﷺ ألا وهو الذكر.

وإذا كانت الصلاة صفوفاً، والعلم مجالساً، فإن هيئة الذكر حلقة، فقد أخرج مسلم والترمذى والنسائى، أن رسول الله ﷺ، خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال:

لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم).

ثالثاً: التمايل والاهتزاز في الذكر:

جمع الله بين الوجل (الفرع) وبين الاطمئنان بذكره وتأثير ذلك على حركة الجسم دون إرادة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣). ويظهر ذلك في قوله: (تقشعر) وقوله: (تلين).

فإذا حصل للقلب خوف واطمئنان يحصل الاضطراب لجميع الجسم فيرتعد لذلك، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله في بدء الوحي: (دثروني دثروني)

والحركة في الذكر أمر مستحسن، لأنها تنشيط الجسم لعبادة الذكر، وهي جائزة شرعاً، أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه قال: كانت الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله ﷺ، ويقولون بكلام لهم: محمد عبد صالح، فقال ﷺ: ماذا يقولون؟ فقيل: إنهم يقولون: محمد عبد صالح، فلما رأهم في

الله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: الله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبرائيل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم ملائكته).. وعلى هذا فيجوز الاجتماع لغرض الذكر وحده.

ثانياً: الذكر في المساجد:

الذكر في المساجد جائز لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (البقرة: ١١٤). وقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (النور: ٣٦).

وقال ﷺ: (يقول الرب عز وجل يوم القيامة: سيعلم الجمع من أهل الكرم، قيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر في المساجد) [رواه أحمد والهيثمي والسيوطي].

وروى الإمام أحمد عن شداد بن أوس قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وقال: (هل فيكم من غريب؟) قلنا: لا، قال: (أغلقوا الباب، وارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، ففعلنا، فقال النبي ﷺ: اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، إنك

تلك الحالة لم ينكر عليهم، وأقرهم على ذلك، وفي هذا الحديث دليل على صحة الجمع بين الاهتزاز المباح، ومدح رسول الله ﷺ، لأنه ينشط الجسم للذكر، ويساعد على حضور القلب مع الله إذا صحت النية. وسنستمع إلى أمير المؤمنين الإمام علي السليمان، كيف يصف أصحاب النبي وهم يذكرون، قال أبو أراكة: (صليت مع علي صلاة الفجر، فلما انفتل على يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين، ثم قلب يده، فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعناً غبراً، وبين أيديهم كأمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يتراوون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا (تحركوا) كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبثل والله ثيابهم)^(١).

ويهمنا من عبارة الإمام علي قوله: (مادوا كما

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص ٩١، وابن تيمية (حياته وعقائده) - صائب عبد الحميد، ص ٢٧١.

يميد الشجر في يوم الريح) فإنك تجده صريحاً في الاهتزاز، ويبطل قول من يدعى أنه بدعة محرمة. بل إن ابن تيمية شيخ المنكرين أجاب في الفتاوى الكبرى قائلاً: (إن الذي يذكر الله ولا يهتز من القاسية قلوبهم).

ويقول حسن البنا مؤسس الإخوان المسلمون في كتابه مذكرات الدعوة والداعية: (وفي المسجد الصغير رأيت (الإخوان الحصافية) يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من كل ليلة، وكنت مواظباً على حضور درس الشيخ زهران رحمه الله بين المغرب والعشاء، فاجتذبتني حلقة الذكر بأصواتها المنسقة، ونشيدها الجميل، وروحانيتها الفياضة، وسماحة هؤلاء الذاكرين.. فواظبت عليها هي الأخرى).

وقد فصل محمود خطاب السبكي مؤسس الجمعية الشرعية في كتابه (أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية): ماهية الذكر، وفوائد الذكر، وآداب الذكر.

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل: إن الصوفية يذكرون ويرقصون؟ فقال: دعوهم يفرحون بالله ساعة.

واشرب رحيق الذكر بالإرشاد

فالذكر خمر للقلوب مطهر

وبه أنال سعادتى وودادى

أما الإنشاد والتصفيق على الذكر:

فهو مستحب من باب التشجيع والتحريض للذاكر،
ليجمع همته ويطرب قلبه ويتعلق بالمدكور، قال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾
(الأنفال: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ
قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦٣)، وقوله ﷺ للأحباش الذين
كانوا يلعبون بالحراب فى مسجده: (دونكم بنى
أرفدة)، وقوله ﷺ لبنى إسماعيل: (إرموا فإن أباكم
كان رامياً) تشجيعاً لهم.

وعلى كل حال فالذاكرون إن تمايلوا وأنشدوا، فهم
خير من الذين يرقصون فى الأفراح، ولا ينكر عليهم
أحد بدعوى أنهم فى حالة فرح، وهم أيضاً خير من
الوهابيين الذين يرقصون فى العرضة النجدية
ونحوها، ملوكاً وأمراء وشيوخاً!!.

ويتساءل الإمام أبو العزائم عن حقيقة الذكر
فيقول:

عجباً ولم أنس حبيب فؤادى

نفساً إذا ذكره طال سهادى

يا ذكر لم أك غافلاً عن بغيتى

فلم الهيام وفى الفؤاد مرادى

أنا حاضر وحبيب قلبى لم يغيب

نفساً.. فلم هذا الغرام البادى

فأجابنى لم تنس نفساً إنما

ذكر الحبيب مدامة الأفراد

فالروح فى أنس بوجه حبيبها

والجسم فى طرب وفى إسعاد

يهتز حال الذكر طرباً شاهداً

معنى الجميل المنعم الجواد

فتكون روحى فى شهود حبيبها

والجسم فى شوق إلى الإمداد

هذا جوابك، لا تلم ذا صبوة